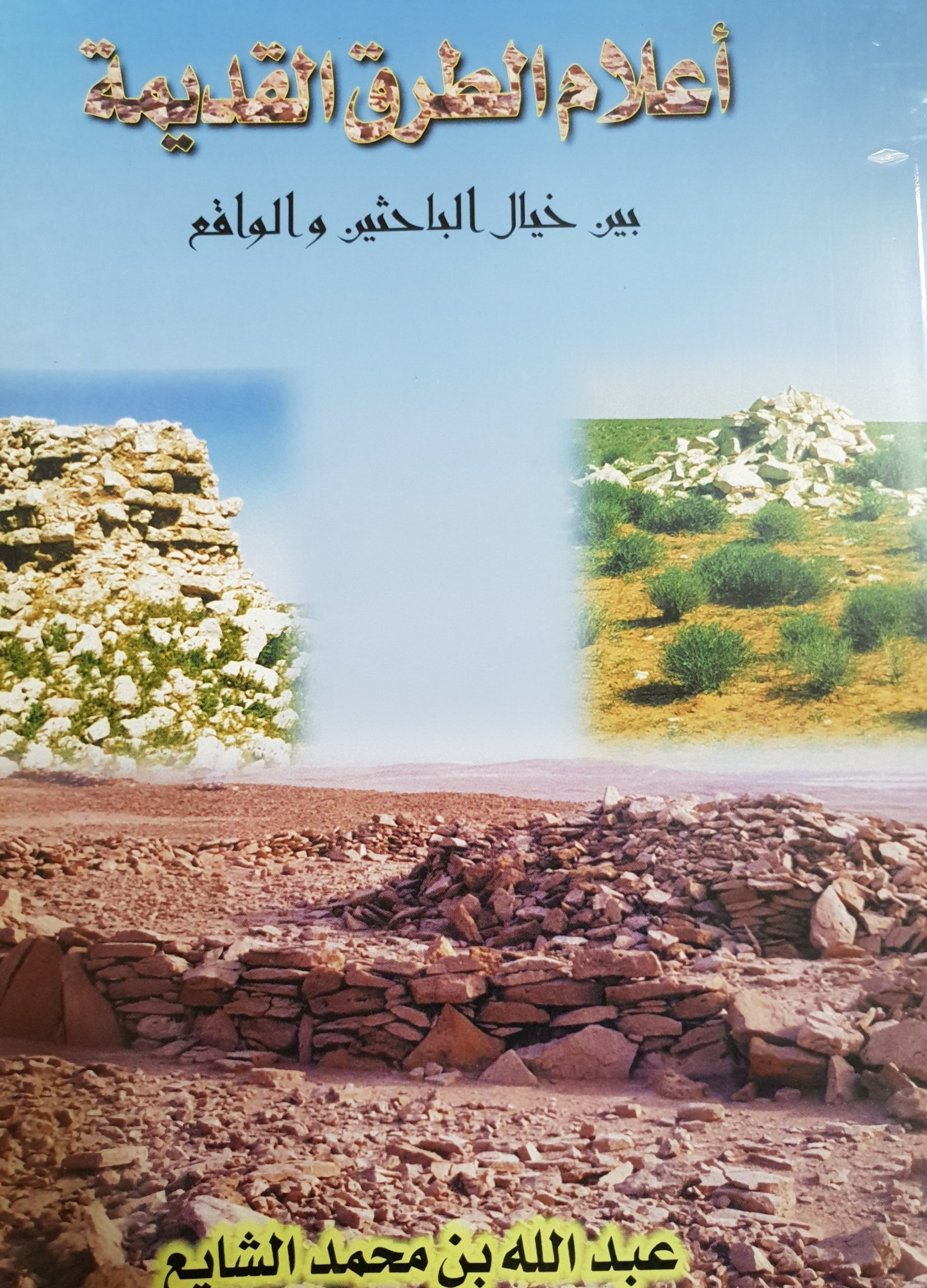


أعلام الطرق القديمة

بين خيال الباحثين والواقع

عبد الله بن محمد الشايع


بسم الله الرحمن الرحيم

الطبعة الأولى

١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م

ح عبدالله محمد الشايع، ١٤٢٠هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
الشايع، عبدالله محمد
أعلام الطرق القديمة: بين خيال الباحثين والواقع. - الرياض.
٢٠٠ ص، ١٧ × ٢٤ سم
ردمك: ٠-٣٧-٨١٦-٩٩٦٠
١- الطرق البرية - السعودية ٢- الطرق - السعودية
ب- العنوان
ديوي ١، ٣٨٨ ٢٠ / ٢٦٥٦

رقم الإيداع: ٢٠ / ٢٦٥٦
ردمك: ٠-٣٧-٨١٦-٩٩٦٠

تقديـــم

بقلم الأستاذ الدكتور

عبدالرحمن الطيب الأنصاري

أستاذ آثار الجزيرة العربية وتاريخها القديم

بجامعة الملك سعود بالرياض

عضو مجلس الشورى حاليا

بسم الله الرحمن الرحيم

الحقيقة التي يجب أن تتضح

لعل أول مرة أواجه فيها بالمباني الحجرية المنتشرة في الصحراء وعلى قمم التلال والجبال كان في نهاية الثمانينيات من القرن الهجري الماضي عندما قمت بصحبة نفر من الأصدقاء من بينهم معالي الشيخ عبدالعزيز بن محمد العبدالمنعم الأمين العام لهيئة كبار العلماء حالياً بزيارة إلى منطقة الخرج حيث تجولنا بين آثارها وقنواتها وعيونها فتماثلت أمامي تلك التلال الركامية المستطيلة والمربعة في نسق يدل على براعة التنسيق والبناء ورأينا إحدى تلك التلال منبوشة فذكر أحد المرافقين أن فيلبي قام بحفرها ووجد فيها هياكل عظمية مما يدل على أنها مدافن. ولم أهتم آنذاك بالأمر كثيراً لعدم وجود لقى أثرية من أدوات حجرية أو فخار أو مسكوكات أو نقوش مما يعطي أدلة أولية على فترتها التاريخية أو العصر الذي تدل عليه الطبقة العليا من الموقع ولكن الانطباع الذي كونته آنذاك أنها من عصور ما قبل التاريخ ولا علاقة لها بعين فرزان أو بالبنَّا لأنها من فترات تاريخية واضحة. ومرت الأيام... وفي بداية التسعينيات من القرن الماضي أثناء التنقيب في قرية الفاو تسلقنا جبل طويق وذهلنا هناك على قمته بما رأينا من مذنبات وأشكال بنائية من عمل الإنسان في نسق جميل ورائع ولكن لم نجد أيضاً ما يدل على فترتها التاريخية، ولكن إلى الغرب منها على طرف قمة جبل طويق أبراج متراصة أو مراقب وجدت فيها فخاراً من نفس فخار فترة قرية التاريخية ومن المؤكد أنه لا علاقة تاريخية بين الأبراج والمذنبات وصورناها ورسمناها ولم نزد على ذلك أما التلال الركامية التي على سفح الجبل والمحاذية للنصف الجنوبي لآثار قرية الفاو فقد اخترنا أحد تلك التلال وقمنا بالتنقيب فيه واكتشفنا أنه مقبرة عائلية من نوع مقابر البحرين المسماة هناك بالدلمونية بل ووجدنا فيه ختماً أسطوانياً من نوع الأختام الأسطوانية في البحرين والتي تعود إلى نهاية الألف الثالث قبل الميلاد ومن هنا يمكن أن نقرر بكل اطمئنان أن التلال الركامية في قرية الفاو من عصور ما قبل التاريخ ويبدو أن السكان الذين عاشوا في

الفترة التاريخية قد عبثوا بهذه المقابر الركامية وأخذوا ما أعجبهم منها ومن ذلك أننا وجدنا ختماً اسطوانياً يشبه ذلك الذي وجدناه أثناء التنقيب في أحد التلال الركامية في إحدى الغرف في المدينة السكنية.

ثم بدا للجامعة أن تصور فيلماً وثائقياً سينمائياً عن قرية الفاو فاستعانت بطائرة مروحية من القوات المسلحة بوزارة الدفاع فاستجابت لطلب الجامعة وذلك لأخذ لقطات جوية للموقع الأثري وركبت في هذه الطائرة المروحية من الرياض إلى قرية على ارتفاع منخفض ويالهول ما رأيت إذ قل أن تجد مرتفعاً من الأرض أو تلاً أو جبلاً ثم لا تجد عليه مذنبات أو دوائر أو مربعات أو مستطيلات تدل على نشاط بشري على طول الطريق من الرياض إلى قرية فذهلت لذلك وربطت بينها وبين ما هو موجود على مرتفعات خشم قرية.

ومرت الأيام والتقيت بالأخ الكريم والباحث الأصيل الشيخ عبدالله بن محمد الشايع في مكتبي بالجامعة وأطلعت على ما لديه من اهتمام فائق بالأماكن الجغرافية والتاريخية من خلال المسح الذي يقوم به في فيافي المملكة المختلفة ونجودها وسهولها مستفيداً من المصادر العربية بل والأجنبية وقلت له على بركة الله لم لا تلق بحثاً عن بعض نتائج أبحاثك في ندوة الجمعية السعودية للدراسات الآثارية وبالفعل ألقى البحث عن «إمَّرَة» وكان محل إعجاب الحاضرين وتزاورت مع الشيخ عبدالله وتباحثنا كثيراً. ودخل في نقاش على صفحات جريدة الرياض مع الدكتور محمد محمدين حول تحديد مكان حجر اليمامة وكان المبرز في أفكاره وطرحه ولعل مكمن إعجابي به هو أنه وهب وقته وماله وعلمه وسخر الأجهزة الحديثة في سبيل الوصول إلى الأماكن وتثبيتها على خرائط علمية بحيث يستطيع الوصول إلى المكان بجهاز (G P S) وبموجب الخرائط المصاحبة لأبحاثه في كتبه، أما أسلوبه فيجمع بين العلم والأدب وهو أسلوب افتقدناه بين أكاديميينا الذين يعملون في حقول قريبة من هذا المجال، ومن الجميل أن كل كتاب من كتبه له لون ومذاق خاص ولكنها تتفق كلها في أن الرجل يحاول أن يصل إلى مخطط لطرق الحج المختلفة من البصرة والكوفة واليمامة وغيرها إلى مكة وهنا قدحت في ذهنه فكرة محاولة الربط بين ما رآه وأهاله من مبان قوية ومذنبات على رؤوس التلال والجبال والريعان وبين أعلام الطرق

وتيسرت معه الأمور وأوصلته إلى مبتغاه فكتب عن علاقة هذه المباني والمذنبات بأعلام الحج في جريدة الرياض ورد عليه بعض الآثاريين ولكنهم لم يقنعوه بما كتبوا.

كنت أرقب كل ذلك عن كثب دون أن أشارك في الأمر إلا بتشجيع الأستاذ عبدالله على المضي في تحقيقاته فكان أن أصدر كتابه «مع امرئ القيس بين الدخول وحومل» فنقل مرابع صبا امرئ القيس من جنوب نجد إلى شمالها ببراهين واضحة وحجج مقبولة ثم انقطعت أخباره كعادته حين يكون في سفر أو بحث، وكان قد تيسر لي أن أسافر إلى المدينة المنورة يرافقني الزميل الحبيب الأستاذ الدكتور سعد بن عبدالعزيز الراشد وكيل وزارة المعارف لشؤون الآثار حالياً والدكتور العباس سيد أحمد محمد علي المتخصص في آثار ما قبل التاريخ بدعوة من وزارة البترول والثروة المعدنية للاطلاع على فوهات البراكين المنتشرة بين المدينة وخيبر وما حولها والتي مازالت الأبخرة تظهر منها خلال فصل الشتاء بشكل يلاحظه الإنسان. ومن هناك قمنا بطائرة مروحية بالطيران شرق المدينة المنورة ورأينا سداً عظيماً بني في العصر الأموي زمن الخليفة معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه وهذا يدل عليه النص التأسيسي الذي فرح بوجوده الدكتور سعد كما رأينا كثيراً من هذه المذنبات حول المدينة وبالقرب من جبل عير قبلة المدينة المنورة بل وجدت هذه المذنبات تحتضنها طبقات من الحمم سفلى وعليا مما يدل على قدمها اللامحدود ولعل ذلك من أمتع المناظر التي تراها ثم اتجهنا إلى الشمال فرأينا العجب العجاب وكأن سكان ما قبل التاريخ يحيوننا ونحن نمر عليهم من كثرة ما رأينا من أشكال بيوت ومرابض وتلال ركامية ومظاهر للحياة اليومية مما يدل دلالة واضحة على أن الحرة كانت عامرة بالسكان في عصور سحيقة وربما في العصور القديمة والإسلامية إذ أن السدود والأودية كانت كفيلة باستمرار الحياة رغم قسوة الأرض لأنها لابة سوداء نخرة تتخللها واحات وأودية مما أجبر الإنسان على التعايش مع قسوة الحياة آنذاك وعندما تضطره الظروف على الصبر والعمل. تذكرت هذه الرحلة بعد أن اتصل بي الأستاذ الكريم عبدالله بن محمد الشايع ومعه صيده الثمين، وسألته أين كان؟ فقال لا تتصور! لقد كنت في دولة جنوب أفريقيا مع نخبة من الزملاء ومكث يصف لي مارأى وما شاهد من تقدم وتطور حضاري هناك. فقلت له: لا شك أنك تحتاج إلى

رحلة كهذه بعد عناء السفر في صحرائنا التي تعد للتجول فيها كل الاستعدادات، هنا في صحرائنا نبحث عن المعرفة وهناك نبحث عن الراحة والاستجمام. فمد يده إلي بصيده الثمين وهو كتاب «أعلام الطرق القديمة بين الخيال والواقع» ففرحت به كثيراً لأنه أفرغ ما كان يجول في عقله من رفض، لعدم اقتناعه بما يقول به الآثاريون من أن هذه المباني والمذنبات إن هي إلا من عصور ما قبل التاريخ فأتجه إلى كتب التراث وخاصة كتب اللغة العربية ودواوين الشعر الجاهلي فتتبع المفردات التي يمكن أن تكون موضوع بحثه فجمع معلومات قيمة عن الأعلام، المنار، الأميال، الصوى، الآرام، والصيرة، والأَمَرَة، ثم عرج فجمع ما قاله علماء الآثار فبدأ بتقرير نشر في مجلة أطلال التي تصدرها وكالة وزارة المعارف لشؤون الآثار عن آثار ما قبل التاريخ، ثم تحدث عن الرحالة الأجانب أمثال: وليام بلجريف، وفيلبي، وليبنز، وباركلي رونكيير، ووبندل فيليبس، وأويتنج، وهوبر. مستعرضاً ما أتوا به وشاهدوه وخلص من آرائهم إلى القول بأن جميع أصحاب هذه الآراء لم يذكروا لنا ولو دليلاً واحداً مبيناً على أساس علمي يقتنع به، وحتى من حفروا مجسات في بعض المدافن لم يعثروا على شيء ذي بال يدعم الرأي الذي يميلون إليه وأن الغالبية مما رآه هؤلاء سواء أكان على شكل دوائر بجميع ملحقاتها أم صوى منفردة أو مذيلات ما هي إلا أعلام للطرق ليس إلاَّ، ولو أن أحدهم سار مسافات طويلة مع أحد طرق القوافل لاستمرت معه هذه المشاهد، وإنما يجدونها عرضاً عندما يتقاطع الطريق الذي يسلكون مع أحد طرق القوافل القديمة.

ثم يقول المؤلف تحت عنوان: (نافذة على دلالات أعلام الطرق): لم أكن أنوي إقحام نفسي في ذكر شيء عن دلالات أعلام الطرق لمعرفتي مسبقاً أن هذا الطريق شائك وصعب المرتقى وأنه لابد من تنقية هذه الطريق وتسهيله قبل الولوج فيه ولذا قلت عندما تكلمت عن أعلام الطرق في كتابي بين اليمامة وحجر اليمامة – تحقيق طرقهما القديمة وأعلامها المثيرة ص ٨٨ «الكلام عن مدلولات هذه الأعلام يحتاج إلى كتاب مستقل بعد حصر الكثير من الأعلام ووصفها في مجموعات ثم التعرف على العناصر التي تربط بينها والغرض الذي وضعت من أجله في مكانها الذي بنيت فيه وقد أدركت أن مثل هذا العمل يتطلب فريقاً متكاملاً تتوفر في أفراده حاسة

الاستنباط مع الصبر والجلد على تتبع مسارات الطرق القديمة وتصنيف ما يوجد من هذه الأعلام ومتعلقاتها بأشكالها المختلفة في بيانات مع استخدام الكمبيوتر لهذا الغرض بعد إعداد برنامج خاص بهذا الموضوع، ومع المثابرة لاشك أن هذا الفريق سيحصل على نتائج توصله بالتالي إلى معرفة ما تدل عليه هذه الأعلام وما ترمز إليه، لأن هذه الرموز الملحقة بالأعلام عبارة عن وصف صامت يقرؤه من لا يعرف الكتابة ممن يعبرون جوار هذه الطرق».

وبعد فإن ما نقلته عن الأستاذ عبدالله بن محمد الشايع يبين حرصه على فتح مغاليق هذه البُنَى التي يراها منتشرة في الصحراء ولا يجد لها تفسيراً يشفي غليله من الآثاريين المهتمين بهذا الجانب وخاصة أنها وإن كانت من عمل سكان ما قبل التاريخ في الجزيرة العربية إلا أنها تسير محاذية بل وأكثر دقة لما أنشئ لاحقاً من أعمال إنشائية لها علاقة بطرق الحج وتحديد اتجاهاتها.

لقد عالج الباحث في كتابه بضع مفردات خاصة مفردتي: الصوى والآرام وذكر منها أشياء تؤكد أن ما يمكن أن تفسر به هذه البُنَى هي أنها مقابر ومبان إلا أنه لم يقتنع بذلك لكثرتها وانتشارها وفي زحمة استعراضه لما يؤيد رأيه أحب الباحث أن يخفف من شدة النقاش فذكر ما حدث في ليلة من ليالي رحلته فقال: «وكان السمر في هذه الليالي بمثابة حلقات علم، ولا غرابة في هذا حيث أن جميع الرفقة على مستوى عالٍ من العلم والمعرفة لأن منهم الفقيه والأستاذ في الجامعة والمهندس ورجل التعليم، وبما أنه ليس لدي من مجال أتكلم فيه إلا هذه البضاعة الكاسدة وهي مجال الطرق وأعلامها. ولا شك أن هذا المجال جاف وممل، إلا بالنسبة لمن يهوى الحديث عن الماضي بما فيه من آثار.

وقد لاحظت أن أحد أعضاء الرحلة وهو المهندس حمد الشويش لديه ميول للآثار، وفي إحدى الجلسات قال لي أثناء الكلام عن الأعلام والآرام: إنني قرأت في أحد المراجع عن أبنية مقامة فوق المرتفعات إذا أزيلت وجد تحتها جوهرة ثمينة أو شيئاً من هذا القبيل وبما أنني لم أقرأ ما قرأ فقد شكرته على هذه المعلومة التي أنا بحاجة إليها. وبعد أن اعتصر ذاكرته قال: ارجع إلى مادة «الصِّيَرَة» في لسان العرب لابن منظور، ثم يقول الباحث: «وبعد العودة من الرحلة رجعت إلى لسان

العرب فألفيته يقول هذا النص الذي لم أقرأه أو أسمع عنه إلا قرب «رأس الرجاء الصالح» في أقصى جنوب افريقيا.

قال ابن منظور رواية عن ابن شميل: الصيَرَة على رأس القارة مثل الأَمَرَة غير أنها طويت طَيّاً، والأمرة أطول منها وأعظم فهما مطويتان جميعاً، فالأَمَرَة: مصعلكة طويلة، والصيَرة مستديرة عريضة ذات أركان، وربما حفرت فوجد فيها الذهب والفضة، وهي من صنعة عاد وإرم.... وقال عن الأمرة رواية عن ابن شميل أيضاً: «الأمرة: مثل المنارة، فوق الجبل عريض مثل البيت وأعظم وطولها في السماء أربعون قامة صنعت في عهد عاد وإرم وربما كانت إحداهن مثل الدار، وإنما هي حجارة مكومة بعضها فوق بعض قد ألزق ما بينها بالطين وأنت تراها كأنها خلقة».

والحقيقة أن وصف ابن شميل دقيق إلى حد كبير لبعض تلك المباني التي تصاحب المذنبات والقبور الركامية والرجوم. ثم علق الأستاذ الشايع على قول ابن شميل بقوله:

«لعل هذه المباني الغامضة التي يبلغ طول إحداها في السماء أربعين قامة هي التي ورد ذكرها في القرآن الكريم قال الله تعالى (كذبت عاد المرسلين * إذ قال لهم أخوهم هود ألا تتقون * إني لكم رسول أمين * فاتقوا الله وأطيعون * وما أسألكم عليه من أجر إن أجري إلاَّ على رب العالمين * أتبنون بكل ريع آية تعبثون * وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون *) قال الزمخشري: قرئ بكل ريع بالكسر والفتح وهو المكان المرتفع... والآية: العلم.... والمصانع: مأخذ الماء، ومثل القصور المشيدة والحصون. ثم أردف نقله عن الزمخشري بقول الجرجاني الذي ينقض رأي الزمخشري بقوله: وأما تأويل الآية على اتخاذهم الأعلام في الطرقات وقد كانت لهم بالنجوم كفاية ففيه بعد من حيث أن الحاجة تدعو إلى ذلك بغيم مطبق وما يجري مجراه. ولو وضع هذا في زماننا اليوم لهذا القصد لم يكن عبثاً والله أعلم» انتهى كلام الجرجاني.

لا أدري لماذا ابتعد الزميل الكريم عن نسبة هذه الأشياء إلى قوم عاد وخاصة أن الله عز وجل نسب إليهم بناء الأعلام والآيات وقد لا يكون العبث هنا بمعنى دون هدف سوى العبث بالمادة والإساءة إلى المارة مادياً ومعنوياً وإنما قد يكون بمعنى التفاخر دون أن تكون هناك حاجة إليها وخاصة أن الله عز وجل وصفهم بأنهم ذوو

أجسام ضخمة في سورة الأعراف الآية ٦٩: (أوعجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح وزادكم في الخلق بصطة فاذكروا آلاء الله لعلكم تفلحون) ولذا فإن التدبر من هذا المنطلق يساعد على فهم مدلولات هذه المباني ولاستطعنا تحديد فترتها التاريخية في تحديد فترة تاريخ قوم عاد، فهم كما يؤرخ لذلك القرآن الكريم من بعد قوم نوح ويميل كثير من المؤرخين إلى أن قوم نوح كانوا في الألف الخامس قبل الميلاد ولابد أن يكون قوم عاد عندئذ عاشوا في الألف الثالث قبل الميلاد على أقل تقدير وهذا يتمشى مع تصور الآثاريين للأمر ولكنني قد لا أتفق معهم بأنها كلها للسكنى والحياة العامة وإنما قد يكون بعض منها علامات طرق وهي طرق التجارة والترحال والسفر إلى الأماكن المقدسة وهذا ما اكتشفه الأستاذ عبدالله بن محمد الشايع ودائماً ما يصاحب هذه الطرق موارد المياه حتى تصل إلى مبتغاها والله سبحانه وتعالى جعل بيته الحرام مثابة للناس وأمناً منذ خلق الأرض ومن عليها.

وفي الحقيقة فإن هذه الظاهرة تدعوا إلى قيام فريق علمي يضم علماء في الآثار والجيولوجيا والجغرافيا والبيئة والأماكن تتبناه الدولة - يرعاها الله - وتتشرف عليه مدينة الملك عبدالعزيز للعلوم والتقنية للاستفادة من كل منجزات العصر بما في ذلك الأقمار الاصطناعية والكمبيوتر وغيرهما لكي تكتشف الحقيقة ونحدد التاريخ النسبي بل والمطلق وعندها سوف يكون للأستاذ عبدالله بن محمد الشايع فضل إثارة القضية وعندها سوف نتقبل جميعاً ما يصل إليه البحث العلمي الرصين والمحايد.

والله من وراء القصد.

بقلم أ.د. عبدالرحمن الطيب الأنصاري

بسم الله الرحمن الرحيم

مدخل البحث

الحمد لله القائل: **(وألقى في الأرض رواسي أن تميد بكم وأنهاراً وسبلاً لعلكم تهتدون* وعلامات وبالنجم هم يهتدون*)** سورة النحل الآيتين ١٥ و١٦.

وأصلي وأسلم على النبي الهادي إلى الطريق القويم. القائل:

(تركتكم على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك) وبعد:

عندما أوجد الله الإنسان على سطح هذه الأرض أصبح يسترشد في أسفاره وتنقلاته بما أوجده الله على ظهرها من جبال شاخصة، وأنهار جارية، وفجاج سالكة.

وفي الليل الدامس يهتدي بنجوم السماء اللامعة.

وعندما تباعد الناس في أرجاء المعمورة، واحتاج بعضهم إلى بعض في تبادل المصالح والمنافع؛ اضطروا إلى وضع علامات ودلالات على دروبهم عبر الفيافي والقفار؛ حتى لا يتيهوا في مساربها ومجاهلها فيهلكهم العطش.

كانت بداية اهتمامي بالتعرف على أعلام الطرق عندما قمت بتحقيق «طريق الحج البصري» من «النباج» شمال شرق القصيم حتى ميقات «ذات عِرْق» وكانت أعلام وأميال هذا الطريق واضحة على طول مساره. وعلى ضوئها اهتديت إلى موارد ومنازل هذا الطريق.

وكنت لا أدري أن للطرق الأخرى غير طرق الشام والعراق أعلاماً حتى عثرت في وسط «عالية نجد» على ما أسميته بمفتاح أعلام الطرق الأخرى التي تخترق أرض الجزيرة. وقد ذكرت قصة عثوري على هذا المفتاح في كتابي «بين اليمامة وحجر اليمامة» الذي حققت فيه مسار الطريق الأيمن لحاج حجر اليمامة.

لقد وقفت على المئات من أعلام الطرق على اختلاف أشكالها، وتمكنت على ضوئها من تتبع عدد من طرق الحج والتجارة.

وقبل أن أقدم على طباعة كتابي الذي سبق أن ضمنته الكلام عن الطرق القديمة

وأعلامها المثيرة؛ رغبت أن أنشر ما توصلت إليه بشأن هذه الأعلام في إحدى الصحف اليومية التي تفرد صفحة للآثار من بين صفحاتها، فنشرت مقالاً مطولاً في جريدة «الرياض» أوضحت فيه أن ما يشاهد في الوهاد والنجاد من ركامات ومذيلات حجرية ما هي إلا أعلام للطرق وليست مدافن ومقابر تعود لعصور حجرية حسبما قال به فريق من علماء الآثار الذين أصبح رأيهم هذا مأخوذاً به من قبل بعض المتخصصين بالآثار عندنا. وقد جوبه ما نشرته بنقد جريء وصارم من قبل أحد أساتذة علم الآثار بجامعة الملك سعود بالرياض؛ حيث أصر على ما كان مفهوماً لديه بشأن هذه الركامات والمذيلات الحجرية من أنها مقابر ومدافن، وأنها ليست أعلام طرق حسبما توصلت إليه.

وبما أني لم أخرج بجديد من النقاش الذي دار آنذاك؛ لكون ما قيل مبناه الحدس والتخمين؛ فقد أقدمت على طبع الكتاب، وواصلت رحلاتي عبر مسارات مختلف الطرق.

وعلى ضوء هذه الأعلام تمكنت بفضل الله من تحقيق العديد من الأماكن التاريخية والجغرافية.

وإن كان لي من استغراب فهو مما كتبه الشيخ «حمد الجاسر» - سلمه الله - حينما رَدَّ مؤخراً في مجلة «الفيصل»[1] على ما توصلت إليه من تحقيق لماء «طُوَيْلع» يناقض تحقيقه له؛ هذا الرد الذي ما كنت أتصور أن يكتبه مثل الشيخ حمد وهو من هو بفهمه ودرايته. ومما قاله في هذا الرد حول «الأعلام»:

(والأخ ابن شايع ليس عالم آثار، ومع ذلك حشا مؤلفاته بأشياء منها يقول إنها علامات الطريق التي وصفها المتقدمون على الطرق الرئيسة، لبيان الأميال، أو الفراسخ وغيرها، وهو ليس عالم آثار يستطيع أن يميز هذا الرجام والحصى المركوم بعضه فوق بعض، وما أكثر هذا مما يحدث من آثار مكث أهل البادية في المكان، وقل مكان لم يقيموا فيه أو يضعوا فيه «رجوماً»!!...).

ولم يكتف شيخنا بهذا؛ بل كرر الطرق على موضوع أعلام الطرق في آخر رده هذا حيث أردف قائلاً:

(إن الأستاذ عبد الله يدرك أنه ليس عالم آثار، لكي يبني استنتاجاته في تحديد

---

(١) مجلة الفيصل: عدد ٢٧٧ رجب ١٤٢٠هـ.

المواضع على حد علمه منها بما يظهر له ، كما شحن مؤلفاته بوصفه وتصويره، وتعريفه تعريفاً متكلفاً، وكل من ألف السير في صحاري الجزيرة لا يعدم أن يشاهد في كل بقعة أثراً مما خلفه السائر قبله أو الساكن من آثار النزول من الأحجار المجتمعة كالرجام وغيرها، لا صلة لها بآثار المتقدمين، أما الأستاذ عبد الله فيصفها ظاناً أنها أعلام الطريق...). انتهى قول شيخنا حمد.

ولست هنا في معرض التعقيب على هذا الرد الذي التبس على الشيخ حمد الجاسر ما قلته بشأن تحقيق ماء «طويلع»؛ فقاده هذا اللبس إلى الخوض في أمور جانبية خارجة عن الموضوع المناقش، ومنها موضوع أعلام الطرق القديمة التي وقف أمامها الرَّحَّالة والآثاريون حائرين. ثم يأتي علامة الجزيرة ليقول: إنها مما خلفه أهل البادية!!!.

أقول: ما حيلتي؛ وقد طلبت من بعض متخصصي الآثار عندنا ومنهم الأستاذ الجامعي الذي أشرت إليه آنفاً أن يصحبوني في بعض رحلاتي عسى أن تتضح لهم أمور كانت خافية عليهم حول ما توصلت إليه. وكل من كانوا يصحبونني في هذه الرحلات من غير المنتسبين للآثار؛ وإنما هم ممن أشربوا حب الاستكشاف بما يشمونه من عبق تاريخ بلادهم. فلهم مني جزيل الشكر والعرفان بما تحملوه ويتحملونه من وعثاء السفر والتنقل في الحرِّ والقَرِّ. وأخص منهم بالذكر:

من الرياض: الأستاذين، محمد بن عثمان الفارس، وسعد بن عبد العزيز السالم.

ومن الطائف: الأستاذ، عبد العزيز بن صالح الشايع.

ومن الدوادمي: الأساتذة: سعد بن عبد العزيز اليحيان، وسعد بن علي الشعيلان، وصالح بن عثمان المقري.

إن من يقف على الدوائر الحجرية وما حولها من صُوى ومذيلات يصاب بالدهشة؛ حيث تستوقفه بأشكالها المختلفة فيدور في خلده أكثر من سؤال. والسؤال الذي يتكرر بكثرة هو:

لماذا لم يتطرق من كتبوا عن طرق الحج والتجارة من القدماء إلى ذكر هذه الأعلام بشكل تفصيلي يوضح لنا دلالات هذه الأعلام؟!

وبما أن هذا سؤال له ما يبرره؛ فقد أجبت عنه في مقدمة كتابي الأخير.

ولعل في هذا الكتاب ما يخفف من كثرة طرح مثل هذا السؤال. مع أني لا أستبعد أن يخرج من بين رفوف المكتبات العالمية مخطوطة كتاب تجيب عن هذا

السؤال وأسئلة أخرى محيرة وبما أن الشك ما زال قائماً بشأن ما قلته عن أعلام الطرق؛ فقد تفضلت دارة الملك عبد العزيز بدعوتي إلى إلقاء محاضرة ضمن موسمها الثقافي لعام ١٤١٩هـ ١٩٩٨م وكانت المحاضرة عن «حجر اليمامة: حدودها، وطرقها التجارية».

وتم إلقاء المحاضرة مساء يوم الأحد ١٤١٩/٨/٢٤هـ وقد تكلمت بإسهاب عن الطرق وأعلامها مع عرض لنماذج من أعلام الطرق على اختلاف أشكالها.

ومع أن من حضروا هذه الأمسية كثر ولله الحمد؛ إلاّ أنه لم يحضرها من المتخصصين بالآثار إلاّ قلة؛ على الرغم من توجيه الدعوة إليهم من قبل الدارة.

ولو لم يحضر من علماء الآثار إلاّ الدكتور «علي بن إبراهيم غَبَّان» لكفى؛ حيث حضر مقدماً ومديراً للنقاش والمداخلات حول موضوع المحاضرة.

وقد أثنى جزاه الله خيراً على المحاضرة والمحاضر، وأدار النقاش بكل موضوعية. ولم ينس الدفاع عن وجهة نظر الآثاريين، وكان نقاشه نقاش العالم بما يتحدث عنه. ولا غرابة في ذلك فهو يشغل الآن منصب رئيس قسم الآثار بجامعة الملك سعود.

والدكتور علي غبان أحد ثلاثة من علماء الآثار الذين أدين لهم بالتشجيع المعنوي، والآخران هما: الأستاذ الدكتور «عبد الرحمن الطيب الأنصاري» والأستاذ الدكتور «سعد بن عبد العزيز الراشد» فجزاهم الله خيراً على ما اقتطعوه من أوقاتهم الثمينة أثناء ترددي عليهم، وما وجدته منهم من توجيه.

وكانت أعلام الطرق التي تكلمت عنها تلك الأمسية محل نقاش. وقد أعجبتني مداخلة للدكتور «ناصر بن سعد الرشيد» حيث علق بما مفاده:

إن عبد الله الشايع يقول عن الركامات والمذيلات الحجرية: إنها أعلام طرق، بينما الآثاريون يقولون: إنها مدافن ومقابر. فلماذا لا تفحص تلك المشاهد الآثارية ويبت في الموضوع؟!

ومثل هذا الاقتراح الذي طرحه الدكتور ناصر تدعو إليه الحاجة الملحة؛ فقد اصطدمت مؤخراً أثناء تحقيقي لمسار أحد الطرق القديمة بركامات ومذيلات قال عنها علماء الآثار بأنها مساكن تعود إلى عصور حجرية.

وقد خضعت هذه الركامات لدراسة مكثفة، وكتب عنها تقارير مطولة، ويعول عليها الآثاريون كثيراً في نظرياتهم.

وبالرغم مما قيل عنها؛ ساورني شك بأنها علامات للطريق الذي أتتبعه ليس إلاّ.

ولهذا اجتمعت بالأستاذ الدكتور «سعد بن عبد العزيز الراشد» وكيل وزارة المعارف للآثار والمتاحف في شهر محرم ١٤٢٠هـ وطلبت منه المساعدة في إعادة النظر فيما قيل عن هذه الركامات الحجرية؛ خاصة وقد أصبح لدينا من أبناء الوطن علماء متخصصون في هذا المجال.

وقد وعد سعادته وهو المتعاون دائماً في ما من شأنه الوصول إلى الحقيقة. ولكن يبدو أن هناك أولويات في مجال العمل لا تسمح بعمل أي شيء في القريب العاجل. ومع ما لمسته منه من حماس منقطع النظير حول الآثار وما يتعلق بها؛ فإن الربط العلمي بين تلال المقابر والمساكن القديمة، وبين أعلام الطرق سيتم قريباً إن شاء الله. وما علينا إلاّ الانتظار حتى يحين الوقت المناسب.

على أني سأكمل ما بدأته من تتبع مسارات الطرق القديمة على ضوء أعلامها الشاخصة؛ فالفارق كبير بين هذه الأعلام، وبين ركامات المساكن والمدافن القديمة. وأتمنى اليوم الذي يتمكن الآثاريون فيه من التفريق بين هذه وتلك!!.

ويسرني في هذا الكتاب أن أسوق بين يدي القارئ الكريم ما قرأته من النصوص المتناثرة في كتب التراث التي ورد فيها ذكر لأعلام الطرق على اختلاف أشكالها وأنماطها وكذا تعدد أسمائها، والغرض الذي بنيت من أجله.

وكذا ما قاله الرحالة الغربيون عن مشاهداتهم أثناء تجوالهم في أرض بلادنا المترامية الأطراف.

آملاً أن يكون فيما سقته وأوردته ما يزيل الإشكال والغموض.

والله المرشد والهادي إلى طريق الصواب..

المؤلف

الأسماء التي أطلقها العرب على أعلام الطرق، ووصفهم لتلك الأعلام:

أعلام الطرق المنتشرة على مسارات الطرق في أنحاء جزيرة العرب لها أنماط وأشكال مختلفة ولذا تعددت مسمياتها عندهم؛ من هذه الأسماء:

الأعلام، المنار، الأميال، الصُّوَى، الآرام.

والشيء المحير أن هذه الأعلام الموضوعة فوق الجبال، والآكام، والقفاف وفي السهول بكثرة تدعو إلى الاستغراب؛ لم يفرد لها ذكر في المراجع التي بين أيدينا؛ الأمر الذي أحوجني إلى تصيد بعض النصوص المقتضبة من شعر ونثر حتى تكَوَّن لدي حصيلة جيدة سأوردها عندما أتكلم عن أسماء الأعلام. وما سأورده منها سيكون حجة دامغة ضد من ينفي وجود أعلام للطرق في اليمامة ونجد. مع أن الأمر لا يحتاج إلى دليل ما دامت هذه الأعلام شاخصة للعيان عبر مسارات طرق الحج والتجارة التي حولها البعض إلى مساكن ومدافن تعود إلى عصور متقدمة. وفيما يلي تعريف بالأسماء:

الأعلام:

قال ابن منظور في لسان العرب «صفحة ٤/٨٧١»: (... يقال لما يبنى في جواد الطريق من المنازل يستدل بها على الطريق: أَعْلامٌ، واحدها عَلَمٌ. والمَعْلَمُ: ما جعل علامة وعلماً للطرق والحدود مثل أعلام الحرم ومعالمه المضروبة عليه...

والعَلَمُ: المنار. قال ابن سيده: والعَلامةُ والعَلَم الفصل يكون بين الأرضين. والعلامة والعلم: شيء يُنْصَبُ في الفَلَوات تهتدي به الضالة.).

وقال ياقوت الحموي في معجمه (رسم العَلَم):

ويقال لما يبنى على جَوَادّ الطرق من المنار ومما يستدل به على الطرق أعلام، واحدها علم.

أما شعراء العرب فقد أمدونا ببعض الإشارات إلى الطرق وأعلامها من ذلك قول المرقش الأكبر:

وأَعْــرَضَ أَعْــلاَمٌ كَــأَنَّ رُؤُوسَــهَــا رُؤُوسُ جِــبَــالٍ في خَليجٍ تَغَــامَسْ
إِذَا عَلَمٌ خَلَّفْــتُــهُ يُهْــتَــدَى بِهِ بَدَا عَلَمٌ في الآلِ أَغْــبَــرُ طَامِسُ(١)

وقال ذو الرُّمة:

وَمَـهْمَـهٍ طامسِ الأَعْلامِ في صَخِبِ الـ أَصْـداءِ مُـخْـتَلِطٍ بالتُّـرب دَيْجـوجِ

قال أبو نصر الباهلي في شرح هذا البيت:

(المهمه: الأرض البعيدة. وقوله «طامس الأعلام» أي: قد طمست أعلامه فلا ترى في الليل «صخب الأصداء» يريد: طُمِسَتْ أعلامه في ليل أصداؤه كثيرة الصوت. «ومختلط بالترب» يقول: هذا الليل ألقى أكنافه على التراب. و«ديجوج»: أسود. والصداء: طائر.)(٢).

التعليق:

يبدو أن أبا نصر شرح بعض الكلمات الواردة في البيت بغير المعنى الذي قصده ذو الرمة: حيث علل أن سبب انطماس الأعلام في هذا المهمه من الأرض هو شدة سواد الليل. ولعل كلمة «ديجوج» هي التي أوحت له بهذا المعنى. والذي أفهمه أن السائر في المهامه والقفار ليلاً لن يعول على الأعلام الموضوعة على جادة الطريق: لأنه لن يتمكن من رؤيتها في ظلام الليل.

ويؤيد هذا ما قاله ذو الرمة نفسه في قصيدة أخرى، حيث قال:

وأَرْضٍ فَـلاَةٍ تَسْـحَلُ الريحُ مَـتْنَهـا كساها سوادُ الليل أَرْدِيَةً خُضْـرا...
طَوَتْهـا بنا الصُّهْبُ المهاري فَأَصْبَحَت يَنَاصِيبُ أَمثالُ الرِّماح بها غُـبْـرا
من البُـعْـدِ خلف الركب يلوون نحـوها لأَعْنَاقِـهِمْ كم دونَهـا نظراً شَـزْرَا(٣)

فالشاعر هنا لم يذكر الأعلام في هذه الأرض الفلاة التي غطاها الليل بأرديته، وإنما رأوها عندما طوت رواحلهم هذه الفلاة، وعند الصباح رأوا اليناصيب، وهي الأعلام المنتصبة كالرماح.

---

(١) ديوان المرقَّشَين: ص٥٨.

(٢) ديوان ذي الرمة: ص ٢/٩٨٧.

(٣) ديوان ذي الرمة: ص ٣/١٤٢٣.

ولذا أقول: إن سبب انطماس الأعلام في البيت السابق هو سفي الرياح عليها وليس بسبب ظلام الليل كما قال شارح الديوان. ويفسر هذا قوله في البيت «مختلط بالترب». وهذا المفهوم يقتضي أن يكون القصد من كلمة «ديجوج» ليس السواد وإنما المعنى الآخر لها وهو التغطية.

ويحتمل أن تكون كلمة «مختلط» تعود لكلمة «صَخِب» التي قد يقصد بها الاختلاط وليس مجرد الصوت؛ وهذه الأصداء المختلطة بالترب قد تكون من مكملات الأعلام. وسيأتي الكلام عن «الأَصْدَاء» و«الصَّداء» عند الكلام عن «الصُّوَى».

وفي بيت آخر يقول ذي الرمة:

كم دونَ مَـيَّـة من خَـرْقٍ ومن عَلَمٍ ... كـأنَّهُ لامِعُ عُـرْيَانُ مَـسْلوبُ

علق الدكتور عبدالقدوس أبو صالح على هذا البيت بقوله:

(وفي حل: «العلم: شيء يبنى ليهتدى به بمنزلة المنارة. وشبهه بالرجل العريان قد سلب ثيابه فهو يشير مستغيثاً».)(١).

وقال الشاعر «الرَّاعي النُّمَيْرِيّ»:

وَصَاحِبَا قُتْرَةٍ صُفْرٌ قِسِيُّهُمَا ... عند المَرَافِقِ كالسِّيدَيْنِ في الحُجَرِ
تَنَافَسَا الرَّمْيَةَ الأُولى فَفَازَ بِها ... مُعَاوِدُ الرَّمْيِ قَتَّالٌ على فُقَرِ
حَتّى إذَا مَلأَ الكَفَّيْنِ أَدْرَكَهُ ... جَدٌّ حَسُودٌ وَخَانَتْ قُوَّةُ الوَتَرِ
فَانْصَعْنَ أَسْرَعَ من طَيْرٍ مُغَاوِلَةٍ ... تَهْوِي إلى لاَبَةٍ مِنْ كَاسِرٍ خَدِرِ
إذا لَقِيْنَ عَرُوضاً دُونَ مَصْنَعَةٍ ... وَرَكَّنَ من جَنْبِها الأَقْصَى لِمُحْتَضِرِ
فَأَطْلَعَتْ فَرْزَةَ الآجَامِ جَافِلَةً ... لَمْ تَدْرِ أَنَّى أَتَاها أَوَّلُ الذُّعُرِ
فَأَصْبَحَتْ بين أَعْلامٍ بِمُرْتَقَبٍ ... مُقْوَرَّةً كَقِدَاحِ الغَارِمِ اليَسَرِ(٢)

التعليق:

لا يقل الراعي النميري عن ذي الرمة في دقة الوصف والإكثار من ذكر الأماكن فكل منهما أكثر من وصف المفاوز؛ مما جعلهما يكثران من ذكر أعلام الطرق. فهذا

---

(١) ديوان ذي الرمة: ص ١٥٧٥/٣.

(٢) ديوان الراعي النميري: ص ١٣٠.

الراعي النميري، يصف لنا وحشاً نافراً يتربص به قناصان ماهران، فهو يصف بكل دقة طريقة فرار تلك الظباء النافرة التي أجفلها الصيادان، فوصف سرعتها بسرعة الطير التي سارعت إلى الاحتماء بلابة عندما هاجمها صقر، وأن هذه الظباء عندما اعترضها جانب من «مصنعة» التفَّت إلى الجانب الآخر مسرعة حتى لا يدركها الطلب، فيممت جهة آجام – وهو الشجر الملتف – حتى انتهى بها الفرار إلى مكان مرتفع فأصبحت بين تلك الأعلام الموضوعة لترقب من هناك من يطاردها.

بالنسبة لـ «المصنعة» و«المصانع» فسيأتي الكلام عنها عند ذكر «الآرام». وبيت القصيد في هذه الأبيات هو هذه الأعلام التي وصفها الراعي وصفاً دقيقاً حيث شبهها بالقداح الخالية لكونها «مُقْوَرَّة».

وعند أهل اللغة:

اقْوَرَّت الأرض اقوراراً إذا ذهب نباتها. وجاءت الإبل مُقْوَرَّة أي شاسفة؛ وأنشد:

ثم قَفَلْنَ قَفَلاً مُقْوَرَّا

قَفَلْنَ أي ضَمَرْنَ ويَبِسْنَ؛ قال أبو وَجْزَةَ يصف ناقة قد ضَمُرَتْ:

كأَنَّما اقْوَرَّ في أَنْسَاعِها لَهَقٌ ... مُرَمَّعٌ بِسَوادِ الليلِ مكحولُ...

والمُقْوَرُّ أيضاً من الخيل: الضَّامر...(١).

أقول: لا يستغرب هذا الوصف البارع الدقيق على شاعر مثل الراعي النميري؛ فقد صدق في وصفه هذا. فمن يقف على بعض الأعلام والصُّوَى؛ وخاصة تلك التي فوق المرتفعات؛ فإنه بلا شك سيصفها بالقداح الفارغة؛ لأن الذين بنوها وضعوها على هذا الشكل. فهل لهذا التفريغ من دلالة؟.

حتى الآن لست أدري. وفي إحدى الرحلات وقفت على علمين متلاصقين عاليين في ريع من جبال «فرائد أبي دَخَن» وكان بصحبتي الأستاذ سعد اليحيان. وعندما أمعن النظر فيهما قال موجهاً السؤال إِليَّ:

---

(١) اللسان: ص ٥/١٨٦.

لماذا وضعوا هذين العلمين في هذا المكان، ألا يكفي واحد منهما! ثم لماذا هما مُقْوَرَّان؟!

فقلت مازحاً: لعل من أوكل له وضع هذين العلمين شخصان، وكان الأصل أن يضعا علماً واحداً، ولكن يبدو أن خلافاً حصل بينهما فاستقل كل واحد منهما بعلم!!

أما لماذا هي مقورة من الداخل؟ فمن المرجح أن من بناها اهتم بالشكل الخارجي لكي يراها المارة من بعد، أما من الداخل فجعلوها شبه مفرغة توفيراً للجهد والوقت.

وسأزود هذا البحث بصور للأعلام والصوى على اختلاف أشكالها، ومن بينها هذه الصوى التي تشبه قداح الغارم اليسر.

وقال رؤبة بن العجاج وهو يصف مفازة:

وَقَاتِمِ الأَعْمَاقِ خَاوِي المُخْتَرَقْ ... مُشْتَبِهِ الأَعْلامِ لَمَّاعِ الخَفَقْ
يَكِلُّ وَفْدُ الرِّيحِ مِنْ حَيثُ انْخَرَقْ ... شَأْزٍ بِمَنْ عَوَّهَ جَدْبِ المُنْطَلَقْ
نَاءٍ مِنَ التَّصْبِيحِ نائي المُغْتَبَقْ ... تَبْدو لنا أعلامُهُ بَعْدَ الغَرَقْ
في قِطَعِ الآلِ وهَبْواتِ الدُّقَقْ ... خَارِجَةً أَعْنَاقُهَا مِنْ مُعْتَنَقْ.[1]

المنار:

قال ياقوت في رسم «العَلَمْ»: ويقال لما يبنى على جَوَادّ الطرق من المنار ومما يستدل به على الطرق أعلام).

ويقال: إن أول من بنى «المنار» على الطرق أحد تبابعة اليمن، ومن أجل هذا سمي بـ «ذي المنار».

قال ابن دريد: (أبرهة ذو المنار تُبَّع. وأبرهة: اسم حبشي. ذو المنار هو أول من بنى «الأميال» على الطرق، فسمي ذا المنار.)[2].

وقال ابن منظور: (ذو المنار: ملك من ملوك اليمن واسمه أبرهة بن الحارث الرايش، وإنما قيل له ذو المنار لأنه أول من ضرب المنار على طريقه في مغازيه ليهتدي بها إذا رجع.)[3].

---

(١) ديوان رؤبة بن العجاج: ص ١٠٤.

(٢) كتاب الاشتقاق: ص ٥٣٢.

(٣) لسان العرب: ص ٦/٧٤.

وقال عنه الزركلي: (أبرهة «ذو المنار» بن الحارث الرائش بن شداد بن الملطاط بن عمرو «ذي أبين» من حمير، من تبابعة اليمن. جاهلي كان مع أبيه في بعض حروبه بالعراق، ومات أبوه فيها، فولي الملك بعده. و«أبرهة»بالحبشية «وجه أبيض» وقيل سماه أبوه على اسم إبراهيم الخليل، غزا وفتح كأسلافه، ومات بغمدان.

وقال مؤرخوه: لقب بذي المنار لأنه جعل في الطريق أعلاماً يهتدي بها.)[1] انتهى.

وقد سمي أحد طرق الحج من «حَجْر اليمامة» (الرياض حالياً) إلى مكة المكرمة باسم «طريق المنار» وقد أشار إلى هذا الطريق صاحب كتاب «بلاد العرب» بقوله:

(وإذا خرجت من حَجْرٍ تريد مكة، وتركت المنار، وأخذت الطريق الأيمن فإنك آخذ بطن العرض.)[2].

كما أشار إلى هذا الطريق في موضع آخر، قال:

(وأهل المروت بنو حِمَّان، وهو جبل فيه مياه ومراتع. فمنها السُّحَامَةُ لبني حِمَّان، وعليها طريق المنار.)[3].

وعلى ضوء هاتين الإشارتين من صاحب كتاب «بلاد العرب» تعرفت على مسار «طريق المنار» فألفيته ذا منارات بارزة تشاهد من بعد، وقد قطعت شوطاً في تتبع هذا الطريق مسترشداً بمناره.

وقد يطلق علماء البلدان اسم «المنار» على أميال أو أعلام الطرق الأخرى؛ فقد سمى صاحب كتاب بلاد العرب أميال وأعلام طريق الحج البصري بالمنار في قوله وهو يصف الطريق التجاري من «حَجْر اليمامة» إلى «الكوفة»:

(... ثم تجوز ذلك فترد «المجازة» وهي من طريق «مكة» الذي يأخذ عليه البصريون، عليه المنار من بطن فلج)[4].

---

(١) الأعلام: ص ٨٢/١

(٢) بلاد العرب: ٣٦١.

(٣) بلاد العرب: ص ٣٦٥.

(٤) بلاد العرب: ص ٣٣١.

وقد ورد للمنار الموضوع على الطرق ذكر في أشعارهم. من ذلك قول «حكيم بن عكرمة الديلمي» يتشوّق المدينة:

(لعمرك لَلْبَلاطُ وجانباه وحَرَّة واقم ذات المنار
أَحَبُّ إِلَيَّ من فج بِبُصْرَى بلا شَكٍّ هناك ولا ائتمار)[1]

وقال الراعي النميري:

فَأَصْبَحَتِ الصُّهْبُ العِتَاقُ وَقَدْ بَدَا لَهُنَّ المَنَارُ والجَوَادُ اللّوائِحُ[2]

وقال في قصيدة أخرى:

رَعَيْنَ الحَمْضَ حَمْضَ خُنَاصِراتٍ بما في القُرْعِ مِنْ سَبَلِ الغَوَادي
كَأَنَّ مَوَاقِعَ الصِّرْدَانِ مِنْهَا مَنَاراتٌ بنين على جَمَادِ[3].

الأميال:

اشتهر من أسماء أعلام الطرق «الأميال» لأن المؤرخين وعلماء البلدان الذين كتبوا عن طرق الحج من «الشام» و«العراق» حددوا مسافات تلك الطرق بين المنازل والبُرُد بالأميال. كما كتب على بعضها لوحات حجرية حفر عليها مقدار ما قطع من مسافة الطريق.

والميل الموضوع على مسارات الطرق القديمة يعادل كيلين اثنين؛ أي ألفي متر. ولا خلاف نشأ حول الركامات الحجرية الموضوعة على هذه الطرق فالكل مسلم على أنها أميال وعلامات يستدل بها على موارد المياه ومسارات تلك الطرق. وإنما الخلاف نشأ حول أعلام الطرق الأخرى المنطلقة من اليمامة أو حَجْرها حيث ينفي البعض وجود أعلام لها: مما جعل الأمر يختلط على أصحاب هذا الرأي فلم يفرقوا بين أعلام الطرق وبين المساكن والمدافن القديمة. ولست هنا في مجال دحض هذه المقولة؛ فقد

---

(١) معجم البلدان: ص ٢/٢٤٢.
(٢) ديوان الراعي: ص ٥١.
(٣) ديوان الراعي النميري: ص ٧٧.

تكلمت عن هذا الأمر في كتابي «بين اليمامة وحجر اليمامة، تحقيق طرقهما القديمة وأعلامها المثيرة».

وقد عرف العرب الميل بأنه:

«قدر منتهى مدّ البصر، والجمع أَمْيال ومُيول قال كثير عزة:

سيأتي أميرَ المؤمنين ودونه صِمَادٌ من الصّوَّان مَرْتٌ مُيُولها
ثنائي تُنَمّيه إليك ومدحتي صُهَابِيّةُ الألوان باقٍ ذميلُها

وقيل للأعلام المبنية في طريق مكة أميال لأنها بنيت على مقادير مَدَى البصر من الميل إلى الميل، وكل ثلاثة أميال منها فرسخ.

والميل: منار يبنى للمسافر في أنشاز الأرض وأشرافها، وقيل: مسافة من الأرض مُتَرَاخية ليس لها حَدٌّ معلوم...»(١)

وممن ذكر الأميال من الشعراء «الأعشى الكبير» بقوله:

وجَزورِ أَيْسارٍ دَعَوْت لحَتْفِها ونِياطِ مُقْفِرَةٍ أَخافُ ضَلالَها
يَهْماءَ مُوحِشَةٍ رَفَعْتُ لِعَرْضِها طَرْفي لأَقْدِرَ بينها أَمْيالها(٢)

الصُّوَى:

أَكْثَرَ العلماءُ من ذكر «الصُّوى» وتعريفها. ولعلي أكتفي بما أورده ابن منظور حيث قال عنها:

(والصُّوَّةُ: حَجَرٌ يكون علامة في الطريق، والجمع صُوىً، وأَصواء جمع الجمع، قال:

قد أَغْتَدي والطَيْرُ فوقَ الأَصوَا

وأنشد أبو زيد:

ومن ذاتِ أصواءٍ سُهُوب كأنها مَزاحِفُ هَزْلى بينها مُتَباعِدُ

... وقيل: الصُّوى والأصواءُ الأعلام المنصوبة المرتفعة في غَلْظٍ.

---

(١) لسان العرب: ص ٥/٥٥٧.

(٢) شرح ديوان الأعشى: ص ٢٥٧.

وفي حديث أبي هريرة:

إن للإسلام صُوىً ومناراً كمنار الطريق، ومنه قيل للقبور أَصْوَاءُ.

قال أبو عمرو: الصُّوَى أَعْلامٌ من حجارة منصوبةٌ في الفيافي والمفازة المجهولة يُسْتَدَلُّ بها على الطريق وعلى طَرَفيها، أراد أن للإسلام طرائق وأعلاماً يُهْتَدى بها:

وقال الأصمعي:

الصُّوى ما غَلُظَ من الأرض وارتفع ولم يبلغ أن يكون جبلاً؛ قال أبو عبيد: وقول أبي عمرو أعجب إِليَّ وهو أشبه بمعنى الحديث؛ وقال لبيد:

ثُمَّ أَصْدَرْنَاهُمَا في واردٍ ... صَادِرٍ وَهْمٍ صُوَاهُ قد مَثَلْ

وقال أبو النجم:

وبين أعلام الصُّوى المَوَاثِلِ

ابن الأعرابي: أخفض الأعلام الثَّايَةُ، وهي بلغة بني أَسَدٍ بِقَدْرِ قعدة الرجل، فإذا ارتفعت عن ذلك فهي صُوَّة.

قال يعقوب: والعلم ما نُصِبَ من الحجارة لِيُسْتَدَلَّ به على الطريق، والعلم الجبل.

وفي حديث لَقيط: فيخرجون من الأصواء فينظرون إليه ساعة، قال القتبي: يعني بالأصواء القُبُور، وأصلها الأعلام، شبه القبور بها، وهي أيضاً الصُّوى، وهي الآرام، واحدها أَرَمٌ وإِرَمٌ وأَرْمِيٌّ وإِرْمِيٌّ وأَيْرَمِيّ ويَرَمِيّ أيضاً.)(1) انتهى.

التعليق:

كما أسلفت في بداية كلامي عن أعلام الطرق المثيرة للدهشة والجدل؛ حيث قلت إن هناك بعض الركامات والمشاهد الآثارية المشابهة لأعلام الطرق وتشترك معها في كثير من السمات، أو التسمية.»

فهنا ورد في الحديث كلمة «الأصواء» وهي تعني القبور. بينما الأصل أن الأصواء هي الأعلام الموضوعة على جواد الطرق ليستدل بها.

ولا غرابة في حصول الاختلاف حول «الأصواء» المنتشرة في أرض بلادنا، وتشابه أصواء الطرق بأصواء المدافن؛ وإنما الغرابة في أن يحصر الآثاريون تلك الأصواء على أنها مساكن ومدافن تعود لعصور حجرية.

---

(1) لسان العرب. ص ٤٩٧/٣.

بالنسبة لي لم يعد لدي أدنى شك في أن الصوى الموضوعة على مسارات الطرق ما هي إلا أعلام يستدل بها وليست مدافن ومقابر كما قيل، والواجب على الآثاريين أن يعيدوا النظر فيما كتبوه وقالوه، وأن يفرقوا بين الأصواء التي وجدوا فيها المعثورات الأثرية، وبين الأصواء الموضوعة للدلالة على سمت كل طريق.

وفيما يلي ما قرأته من شعر ذكرت فيه الصوى والأصواء:

قال «جِرَانُ العَوْد» يصف سير الإبل:

حتى إذا مَتَعَتْ والشمسُ حامية — مَدَّتْ سوالفَها الصُّهْبُ الهَراجيلْ
والآلُ يَعْصِبُ أطراف الصُّوى فلها — منه إذا لم تَسِرْ فيه سرابيلْ
واعصوصَبَتْ فتدانى من مناكبِها — كما تقاذفت الخُرْجُ المَجافيلْ(١)

وذكر الراعي النميري «الصّوى» بقوله:

فَلَوْ كُنَّ طيراً قد تَقَطَّعْنَ دُونكُمْ — بِغُبْرِ الصُّوى فيهنَّ للعيْنِ مَطْرَحُ
ولكِنّها العِيْسُ العِتاقُ يَقُودُها — هُمومٌ بِنَا مُنْتَابُهَا مُتَزَحْزِحُ.(٢)

وقال في بيت آخر:

تَضَمَّنَهُمْ وارْتَدّتْ العَيْنُ عَنْهُمُ — بِذاتِ الصُّوى من ذي التَّنانيرِ مَاهِرُ(٣).

وقال الراعي في قصيدة أخرى:

بَعِيْدٌ من الحادي إذا ما تَرَقَّصَتْ — بَناتُ الصُّوى في السَّبْسَبِ المُتَماحِلِ(٤)

وفي إحدى قصائده كرر ذكر الصوى، حيث قال:

وجَرَى على حَدَبِ الصُّوى فَطَرَدْنَهُ — طَرْدَ الوَسِيقَةِ في السَّماوة طولا
في مَهْمَهٍ قَلِقَتْ به هامَاتُها — قَلَقَ الفُؤُوسِ إذا أَرَدْنَ نُصُولا(٥)

---

(١) ديوان جران العود النميري: ص ٥٩.

(٢) ديوان الراعي النميري: ص ٤١.

(٣) ديوان الراعي النميري: ص ١١٥.

(٤) ديوان الراعي النميري: ص ٢١١.

(٥) ديوان الراعي النميري: ص ٢٢١.

وقال الفرزدق يهجو رجلاً كان دليلاً لعبد الله بن عامر بن كريز حين قدم أميرا على البصرة:

مـا نَحْنُ إنْ جـارَتْ صُـدُورُ رِكـابِنا ... بِـأَوّلِ مـن غَـرَّتْ هدايةُ عَـاصِـمِ

أَرَادَ طريقَ العُنْصُلَيْنِ فَـيَـاسَـرَتْ ... به العيسُ في نائي الصُّوى مُـتَـشَـائِمِ

وكـيـف يَضِلُّ العَنْبَـرِيُّ بِبَلْدَةٍ ... بِهـا قُطِعَتْ عَنْهُ سُـيُـورُ التَّـمَـائِمِ.(١)

وقال ذو الرُّمَّة يصف قائد الحُمُر الوحشية وقطيعه:

كـأَنَّ هَوِيَّ الدَّلْوِ في البِـئْـرِ شَلُّهُ ... بذاتِ الصُّـوى آلافَـهُ وانْشِـلالُهَـا.(٢)

ومن قول للطِّرِمَّاح:

تَرَى أَصْـداءَهُ مُـتَـجَـاوِرَاتٍ ... على الأَشْـرافِ كَـالرُّفَقِ العِـزِينِ

بِمُنْخَـرِقٍ تَحِنُّ الرِّيْحُ فـيـهِ ... حَنِيْنَ الجُلْبِ في البَلَدِ السَّـنِينِ.(٣)

أقبل الشَّمَّاخ بن ضرار الذبياني، ومعه رفقة في سفر، وعندما طال بهم السُّرَى اقترح «الشماخ» أن يحدوا كما هي عادتهم في أسفارهم، فارتجز كل واحد منهم. ومما قاله «الجليح بن شديد»:

والرَّكْبُ فَـوْقَ لاحبٍ مُلْسِ الحَـصـى

أَبْلَقَ لا يقـضـي به القـوم الكَرَى

مُـعَـبَّـدٍ يَهْـدِي إلى مـاءٍ صَـرى

طـامي الجِـمَـامِ لم تُكَدِّرْهُ الدِّلا

بجـانـبـيـه زَقَـيـاتٌ للصَّـدَى

يَهْـدِي الضَّلولَ ينتـحي حـيثُ انتـحى

له عـلامـاتٌ على حَـدِّ الصُّـوَى.(٤)

---

(١) ديوان الفرزدق: ص ٦٠٢.

(٢) ديوان ذي الرمة: ص ١/٥٢٩.

(٣) ديوان الطرماح: ص ٥٠٤.

(٤) ديوان الشماخ: ص ١٢٩.

لي وقفة حول ما جاء في هذا الرجز؛ لأنه من الشعر الذي ألمح إلى شيء من دلالات الأعلام. وسأناقش بعض الكلمات الواردة عند الكلام عن «مدلولات أعلام الطرق» إن شاء الله.

الآرامُ:

واحدها: إِرَمٌ. قال ياقوت الحموي:

(إِرَمٌ: بالكسر، ثم الفتح، والإرم في أصل اللغة حجارة تنصب في المفازة عَلَماً، والجمع آرام وأُرُومٌ مثل ضِلع وأضلاع وضلوع.)[1] وفي رسم «إِرَمَ ذات العِمَاد» قال: (وهي إِرَمُ عاد، يضاف ولا يضاف، أعني في قوله عز وجل: ألم تر كيف فعل ربك بعاد إرم ذات العماد...).

أقول:

في زمن الجاهلية كانوا إذا رأوا مساكن أو أعلاماً أو آباراً لا يعلمون بانيها أو حافرها نسبوها إلى عاد أو إرم؛ فيقولون عن المباني والأعلام آرام نسبة إلى إرم. ويقولون عن الآثار القديمة «جاهلية» وفي زمننا هذا يقولون «هلالية» نسبة إلى بني هلال. وكل هذه التسميات لا تستند على حقائق تاريخية دقيقة؛ خاصة ما ينسب إلى بني هلال؛ حيث أعطيت هذه القبيلة من الذكر أكبر مما أعطي لغيرها، وما ذاك إلا من صنع القصاص الذين خلطوا الخرافة بالواقع فضاعت قصة بني هلال وما جرى لهم في خضم الحكايات المصطنعة.

وقال ياقوت:

(الأَمَرُ: في الأصل الحجارة تجعل كالأعلام؛ قال ابن الأعرابي: الأرُوم واحدها إِرَمٌ وهي أرفع من الصُّوَى، والأَمَر أرفع من الأُرُوم، الواحدة أَمَرَة...)[2].

---

(١) معجم البلدان: ص ١/١٥٤.

(٢) معجم البلدان: ص ١/٢٥٢.

أقول:

إن كلمة الآرام تطلق على أعلام الطرق وعلى آثار المباني الموغلة في القدم، وقد ورد ذكر المعنيين في أشعار العرب وأقوالهم؛ من ذلك قول الأعشى عن أعلام الطريق:

وَبَيْدَاءَ تَحْسَبُ آرامَهَا رِجَالَ إيادٍ بِأَجْلادِهَا
يقولُ الدَّليلُ بِها للصِّحَابِ لا تُخْطِئُوا بَعْضَ أَرْصَادِهَا. (١)

وقال ذو الرُّمة يصف مفازة:

وسَاجَرتِ السَّرابَ من المَوامي تَرَقَّصُ في عَسَاقِلِها الأُرُومُ

وقال الفرزدق:

والحوفزان تداركته غارة منا بأسفل أُود ذي الآرام

وقال جامع بن عمرو بن مُرْخِية:

نظرت بذي الآرام يوماً وعادني عِدَادُ الهوى بين العُناب وخنثل

أقول: الآرام التي ذكرها الفرزدق اتضح لي أنها آثار مساكن موغلة في القدم، أما الآرام التي ذكرها جامع بن مرخية؛ فهي أعلام طرق.

وقد سبق الكلام عن هذين البيتين والآرام التي يدلان عليها.

ولا أدعي بأني حصرت جميع ما قيل من شعر ونثر في هذا المجال؛ لأن الإحاطة بهذا من الأمور المستحيلة فباب العلم واسع، ولا يحيط الفرد مهما أوتي من الدقة في البحث والتقصي بكل ما ورد من نصوص. ومثالاً على ذلك:

قمت خلال إعداد هذا البحث برحلة إلى «جنوب إفريقيا» مع سبعة من خيرة الرجال علماً وخلقاً ممن لا يشقى معهم رفيق، وبما أن شهر جمادى الأولى – من عام ١٤٢٠هـ – أغسطس ١٩٩٩م – وهو وقت هذه الرحلة – كان قائظاً في بلادنا، إلا أنه في تلك البلاد كان شديد البرودة؛ الأمر الذي جعل رفاق الرحلة يتحلقون حول موقد النار في أكثر الليالي، وتحت أديم السماء في وسط الغابة كان يحلو السمر وتجاذب أطراف الحديث. وكانت الأحاديث تدور في مناح شتى فكل إناء بما فيه ينضح.

---

(١) ديوان الأعشى: ص ١٢٤.

وكان السمر في هذه الليالي بمثابة حلقات علم، ولا غرابة في هذا حيث أن جميع الرفقة على مستوى عال من العلم والمعرفة لأن منهم الفقيه، والأستاذ في الجامعة، والمهندس، ورجل التعليم.

وبما أنه ليس لدي من مجال أتكلم فيه إلا هذه البضاعة الكاسدة وهي مجال الطرق وأعلامها. ولا شك أن هذا المجال جاف وممل؛ إلا بالنسبة لمن يهوى الحديث عن الماضي بما فيه من آثار.

وقد لاحظت أن أحد أعضاء الرحلة وهو المهندس «حمد بن محمد الشويش» لديه ميول للآثار، وفي إحدى الجلسات قال لي أثناء الكلام عن الأعلام والآرام: إنني قرأت في أحد المراجع عن أبنية مقامة فوق المرتفعات إذا أزيلت وجد تحتها جوهرة ثمينة، أو شيئاً من هذا القبيل.

وبما أني لم أقرأ ما قرأ فقد شكرته على هذه المعلومة التي أنا بحاجة إليها. وبعد أن اعتصر ذاكرته قال:

ارجع إلى مادة «الصِّيَرَة» في لسان العرب لابن منظور.

وبعد العودة من الرحلة رجعت إلى «لسان العرب» فألفيته يقول هذا النص الذي لم أقرأه أو أسمع عنه إلا قرب «رأس الرجاء الصالح» في أقصى جنوب قارة إفريقيا:

قال ابن منظور رواية عن ابن شميل:

(الصِّيَرَةُ على رأس القارة مثل الأَمَرَة غير أنها طُوِيَتْ طَيّاً، والأمرة أطول منها وأعظم مطويتان جميعاً؛ فالأَمَرَةُ مُصَعْلَكَة طويلة، والصِّيرة مستديرة عريضة ذات أركان، وربما حفرت فوجد فيها الذهب والفضة، وهي من صنعة عادٍ وإِرَم...

والصيارة والصِّيَرَةُ: حظيرة من خشب وحجارة تبنى للغنم والبقر، والجمع صِيرُ وصِيَرٌ، وقيل: الصِّيَرة حظيرة الغنم...

وفي الحديث: ما من أمتي أحد إلاّ وأنا أعرفه يوم القيامة، قالوا: وكيف تعرفهم مع كثرة الخلائق؟ قال: أرأيت لو دخلت صِيرة فيها خيل دُهْمٌ وفيها فرس أَغَرُّ مُحَجَّل أما كنت تعرفه منها؟

والصِّيَرة: حظيرة تتخذ للدواب من الحجارة وأغصان الشجر، وجمعها صِيَر.)[1] انتهى.

---

(١) لسان العرب: ص ٣/٥٠٠.

وقال عن الأَمَرَة رواية عن ابن شميل أيضاً:

(الأَمَرَةُ: مثل المنارة، فوق الجبل، عريض مثل البيت وأعظم، وطوله في السماء أربعون قامة، صنعت في عهد عاد وإِرَم، وربما كان أصل إحداهن مثل الدار، وإنما هي حجارة مكومة بعضها فوق بعض، قد ألزق ما بينها بالطين وأنت تراها كأنها خلقة.)[1]

التعليق:

إن الصِّيَرَة، والأَمَرَة اللتين ذكرهما ابن شميل ووصفهما وصفاً واضحاً لا شك أنهما بناءان موغلان في القدم، ووصفهما لا يشبه ما نشاهده من الآرام القديمة سواء كانت أعلاماً للطرق أو مساكن.

وقد يكون العرب أخذوا هذا المسمى من هذه الآرام والصيرة الغامضة التي قيل إنها من بناء عاد وإرم.

وحتى ابن شميل وهو من وصفها لا يعلم عن الغرض الذي بنيت من أجله؛ يدل على ذلك قوله: «وربما كان أصل إحداهن مثل الدار، وإنما هي حجارة مكومة بعضها فوق بعض قد أُلْزِقَ ما بينها بالطين.»

أقول:

لعل هذه المباني الغامضة التي قد يبلغ طول إحداها في السماء أربعين قامة؛ هي التي ورد ذكرها في القرآن الكريم. قال الله تعالى:

(كذبت عاد المرسلين * إذ قال لهم أخوهم هود ألا تتقون * إني لكم رسول أمين * فاتقوا الله وأطيعون * وما أسألكم عليه من أجر إن أجري إلاّ على رب العالمين * أتبنون بكل ريع آية تعبثون * وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون *)[2].

قال الزمخشري في تفسير قوله تعالى:

«أتبنون بكل ريع آية تعبثون * وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون *»:

(قرئ بكل ريع بالكسر والفتح، وهو المكان المرتفع، قال المسيب بن علس:

---

(١) لسان العرب: ص ١/٩٨.

(٢) سورة الشعراء من الآية رقم (١٢٣) إلى الآية (١٢٩).

في الآل يرفعها ويخفضها ريع يلوح كأنه سحل

ومنه قولهم: كم ريع أرضك؟ وهو ارتفاعها.

والآية: العلم، وكانوا ممن يهتدون بالنجوم في أسفارهم فاتخذوا في طرقهم أعلاماً طوالاً فعبثوا بذلك لأنهم كانوا مستغنين عنها بالنجوم..

وعن مجاهد: بنوا بكل ريع بروج الحمام.

والمصانع: مآخذ الماء، وقيل القصور المشيدة والحصون.)[1].

وقد علق «الجرجاني» في حاشيته ذيل الصفحة بقوله:

(... وأما تأويل الآية على اتخاذهم الأعلام في الطرقات وقد كانت لهم بالنجوم كفاية؛ ففيه بعد من حيث إن الحاجة تدعو إلى ذلك لغيم مطبق وما يجري مجراه، ولو وضع هذا في زماننا اليوم لهذا المقصد لم يكن عبثاً، والله أعلم) انتهى.

ويبدو أن هذا هو الرأي الصائب. ويعضده قول «الشوكاني» في تفسير الآية، حيث قال:

(ومعنى الآية: أنكم تبنون بكل مكان مرتفع علماً تعبثون ببنيانه، وتلعبون بالمارة، وتسخرون منهم. وقال الكلبي: إنه عبث العشارين بأموال من يمر بهم حكاه الماوردي...

* **وتتخذون مصانع** * المصانع: هي الأبنية التي يتخذها الناس منازل.

قال أبو عبيدة: كل بناء مصنعة منه، وبه قال الكلبي، وغيره...

كما نقل عن عبد الرزاق قوله: المصانع عندنا بلغة اليمن القصور العالية.)[2] انتهى قوله باختصار.

وما أحب أن أخلص إليه من هذا الاستطراد هو:

أن الآرام إما أن تكون أبنية قديمة على هيئة مساكن، أو أعلام طرق تم إصلاحها في عصور متقدمة؛ فجاءتها التسمية من آثار إرم التي احتار علماء البلدان وكذا المفسرون في معرفة الغرض الذي بنيت من أجله.

---

(١) الكشاف: ص ١٢١/٣.

(٢) فتح القدير: ص ١٣٨/٤

وهذه الآرام المجهولة هي التي ورد ذكرها في الحديث الشريف.

قال صاحب لسان العرب في رسم «الإرم».

(والإرَمُ: حجارة تنصب عَلَماً في المفازة، والجمع آرامٌ وأُرُمٌ مثل ضِلَع وأضلاع وضُلُوع، وفي الحديث:

ما يوجد في آرام الجاهلية وخربها فيه الخُمْس...)

هذا ما تيسر لي قراءته من أقوال العرب وشعرائهم عن أعلام الطرق التي كانوا يستدلون بها في أسفارهم فتوصلهم إلى موارد المياه، والوجهة التي يقصدونها.

وتتعاقب أجيال، وتندثر منازل هذه الطرق، وتأخذ مواردها مسميات أخرى لعدد من الأسباب والعوامل. وهذا ما جعل تحقيق أماكن بعض موارد المياه فيه صعوبة.

أما هذه الطرق القديمة التي كانت تضج وتعج بحداة الإبل؛ فقد لفها النسيان، وأصبحت أعلامها الشاخصة كالأشباح في البراري.

وعندما جاب الرحالة الأجانب أرض الجزيرة في هذه الأزمنة المتأخرة؛ استوقفتهم تلك الأشياء الغريبة التي غطاها غبار السنين المتلاحقة، فاحتاروا في أمرها والغرض الذي وضعت من أجله، وأمام الحيرة والاستغراب كان لزمن ما قبل التاريخ والعصور الحجرية ـ كما يقولون ـ ملجأ يدفنون فيه هذه المشاهد الغريبة. وإليك ما قالوه عنها:

ما قاله علماء الآثار والرحالة الأجانب:

لا يشك أي منصف بما أسداه علماء الآثار والرحالة من إضافات قيمة أنارت الطريق أمام الباحثين في تاريخ وآثار «جزيرة العرب» من ذلك ما سجلوه في رحلاتهم التي جابوا فيها الفيافي والقفار، متوقفين عند كل أثر وعند كل نقش على واجهة حجر؛ في وقت كانت هذه الأمور لا تعني شيئاً بالنسبة لسكان البلاد؛ الأمر الذي جعل ما ورد في رحلات هؤلاء الرواد نبراساً يستضيء به ناشدو المعرفة والمتخصصون في وقتنا الحاضر.

وهذا لا يعني أن جميع استنتاجاتهم حول مدلولات ما شاهدوه صحيحاً؛ فهم يعترفون بوقوفهم حيارى أمام بعض المشاهدات الآثارية المنتشرة في طول البلاد

وعرضها؛ وخاصة تلك الدوائر والصُّوى والمذيلات الحجرية التي وقفوا أمامها مبهورين.

منهم من أرجعها إلى عصور حجرية متقدمة، ومنهم من قال: إنها مدافن ومقابر موغلة في القدم، إلى غير ذلك من الأقوال التي منشؤها الحدس والتخمين، وَسُدَاها عدم الإلمام الكامل بعادات وديانات من تعاقبوا على سكنى هذه الأرض، وهذا ما سيتضح من أقوالهم. وإليك بعضاً من أقوالهم وآرائهم حول الدوائر والمذيلات الحجرية:

أولاً: من علماء الآثار الأجانب الذين أدلوا برأي حول المذيلات والركامات الحجرية الموجودة فوق الأكمات والمرتفعات كل من:

الأساتذة: لويس زارينس، ودانييل بوتس، وكريستوفر إيدنز. حيث كتب هؤلاء تقريراً مستفيضاً عن مشاهداتهم خلصوا فيه إلى أن جميع ما شاهدوه أو وقفوا عليه من هذه المشاهدات الآثارية، ما هي إلا مدافن ومقابر تعود إلى عصور حجرية.

ولعل طول المسافة التي تنتشر عبرها تلك الركامات والمذيلات هو ما استوقفني لأتساءل:

هل من المعقول أن ما ينتشر على الضراب والآكام والمرتفعات الجبلية على طول قرابة خمسمائة كيل أي من قرب بلدة «صُلْبُوخ» شمالاً إلى جهة «وادي الدواسر» جنوباً ـ وهذا نطاق بحثهم ـ يصبح مدافن ومقابر؟!

وتقريرهم هذا تم نشره في «حولية أطلال» حولية الآثار السعودية التي تصدرها وزارة المعارف. وهو التقرير المبدئي عن المسح في المنطقة الوسطى لعام (١٣٩٨هـ، ١٩٧٨م).

وخشية الإطالة لن أورد هنا رأيي حول ما توصل إليه هذا الفريق الآثاري. وإذا رغب القارئ معرفة ما قلته وتوصلت إليه بهذا الشأن فليرجع إلى كتابي «بين اليمامة وحَجْر اليمامة: تحقيق طرقهما القديمة وأعلامها المثيرة» فقد بسطت الكلام هناك وتوصلت إلى أن أغلب ما شاهدوه ما هو إلاّ أعلام لطرق القوافل، وليس مدافن ومقابر من العصور الحجرية!!

وقد تأثر بعض الآثاريين عندنا برأي هذا الفريق وبنوا عليه بعض دراساتهم وأبحاثهم وهو ما حدا بالبعض منهم أن يرد عليَّ رداً قاسياً لا هوادة فيه في جريدة «الرياض» وقد عقبت على ما نشر في حينه؛ لكون ما جاء فيه لا يستند إلى حقائق علمية وإنما إثارة الكثير من التساؤلات وعلامات التعجب؛ ولهذا قررت المضي في الطريق الذي اختطيته لنفسي.

وقد اتضحت أمور كثيرة عسى أن تقنع من كان عارضني لتتوحد جهود الجميع إلى كشف الحقيقة التي هي المطلب على أساس علمي يزيل ما علق بهذه الدوائر والمذيلات والصوى من تخرصات لا تمت إلى الواقع بصلة.

ثانياً: وليام بلغريف:

يعتبر بلغريف من أقدم الرحالة الذين زاروا أرض المملكة العربية السعودية وقد نقلت عنه «جاكلين بيرين» في كتابها «اكتشاف جزيرة العرب» قوله: (رأينا أحجاراً بالغة الضخامة غير منحوتة، مقامة على الأرض، بعضها منفرد، والبعض الآخر قد وضع فوقه أحجار من ذات النوع بشكل معترض.

وتدل طريقة وضعها على أنها كانت تشكل دائرة كبيرة ما تزال بعض بقاياها ماثلة للعيان عن بُعْدٍ قليل. رأينا منها ثماني أو تسعاً، تفصل بين اثنتين منها مسافة ثلاثة أو أربعة أمتار، وما تزالان متوجتين بقطعة صخر تشكل أسكفة، ويبدو أنهما كانتا تشكلان باباً هائلاً، وكانت الأحجار الموضوعة عرضاً تشكل وحدة تامة والأحجار التي ترتكز عليها. وقد دفعتُ جملي فدنا من إحدى هذه الأحجار، ومددت ذراعي محاولاً تحريكها بعصاي ولكنني لم أستطع. وقد كان ارتفاعها عن الأرض يراوح بين أربعة وخمسة أمتار على وجه التقريب.

«إن نوع هذه الأحجار يحمل على الافتراض بأنها قد استخرجت من الجبال الكلسية المجاورة. وهي منحوتة نحتاً خشناً خالياً من الأناقة والانسجام، ولا يرى فيها أي تجويف يحمل على الافتراض بأنها استعملت لتقديم الأضاحي.

وينسب سكان البلاد إقامة هذه الأحجار إلى الساحر درايم الذي يزعمون أنه أقامها بيديه كي يستعملها في بعض أعمال السحر.

وقد أكد لنا رفاقنا وجود دائرة أخرى من الأحجار الضخمة المماثلة، وأن دائرة ثالثة مماثلة موجودة بالقرب من «الحناكيّة» على حدود الحجاز.

«لا شك لديّ في أن هذه الأحجار المقامة كانت تستخدم لبعض الأغراض الدينية، وإذا كان العلماء لم يخطئوا في افتراضاتهم عن أحجار ستونهنج، والكرنك: أنها رموز لعبادة النجوم، في الإمكان أن تحظى هذه الأحجار العربية الضخمة بمثل هذا الافتراض؛ لا سيما وأنها أقيمت في بلد سبق لأهله أن عبدوا النجوم الدائمة اللألاء في سماء بلادهم. والحق أنه لا فرق جوهرياً بين هذه الأحجار الأثرية في القصيم والأحجار الموجودة في بريطانيا وكونتيه سومرست.») انتهى كلام بلغريف.

وحول شكوك «فيلبي» حول بعض مشاهدات «بلغريف» قالت جاكلين بيرين: (وقد تبقى على م. فيلبي أن يورد برهاناً على عدم صحة المعلومات التي أوردها بلغريف فحسب، بل على طريقته في تلفيق القصص. فقد ادعى بلغريف أنه اكتشف في قلب الجزيرة العربية اكتشافاً أثرياً مثيراً... إلى أن قالت: ولكن م. فيلبي اغتنم فرصة سنحت له فذهب ليرى ما هي تلك الأحجار الضخمة، فلم يجد لها أثراً. ولكنه ظن أنه قد يكون أخطأ بحق بلغريف، وأن هذا الأخير يحتمل أن يكون قد صدق في ما رواه نقلاً عما سمعه من أحاديث القرويين عن حجرة لا تتزعزع فقال في نفسه:

«ألم يقل بلغريف إنه حاول أن يهز بعصاه صخرة ضخمة لا تتزعزع؟»

فطلب إلى القرويين أن يرووا له الأسطورة ثانية، وأن يدلوه على مكان وجود تلك الحجرة التي نشر لها صورة. فرأى أنها كتلة صخرية ناتئة أفقياً من إحدى التلال، تدعى الحُرَيْشَة... أما الأحجار الضخمة فقد رآها فيلبي بدوره، ولا ريب في أنها كانت كتلاً صخرية تبعد ميلين عن ذلك المكان، يرى منها الزمن، تنتصب كالأفطرة، نقش عليها المسافرون على مرّ السنين شارات قبائلهم، وبعض الكتابات الخشنة، وقد نشر لها صوراً أيضاً...)[1] انتهى باختصار.

التعليق:

أقول: لا شك أنّ «فيلبي» قد تحامل على «بلغريف» في تشكيكه بما شاهده الأخير؛ فأرض الجزيرة مترامية الأطراف، وقد يكون «بلغريف» شاهد شيئاً و«فيلبي»

---

(١) اكتشاف جزيرة العرب: ص ٣١٣ - ٣١٥.

شاهد شيئاً آخر. والاثنان لا يدركان أن أرض الجزيرة مليئة بالدوائر الحجرية، والمذيلات، والصُّوَى؛ وقد لاحظت من تتبعي لمسارات الطرق أنه يوجد عدد من الدوائر الحجرية في حيِّز من الأرض لا يتعدى طوله عشرة أكيال بمثلها، كما يوجد في هذا الحيز العديد من الصوى والمذيلات الحجرية. وما يلاحظ على كل من «بلغريف» و«فيلبي» أنهما يتأثران بأقوال العامة وما يحوكونه حول هذه المشاهد الآثارية من قصص لا تمت إلى الواقع بصلة. ومن هذا نشأ القول بأن لها علاقة بالسِّحر أو عبادة النجوم، وقد تأثر بعض المهتمين بالآثار عندنا بهذه المقولة، ولم يحملوا أنفسهم تطبيق ما درسوه ليجلوا لنا الحقيقة بدلاً من ترديد أقوال الرحالة.

ومن كلام «بلغريف» ينسحب الشك حول ما قيل عن ما يماثل هذه الآثار خارج «الجزيرة العربية» ألم يقل «بلغريف»:

(وإذا كان العلماء لم يخطئوا في افتراضاتهم عن أحجار ستونهنج، والكرنك، أنها رموز لعبادة النجوم.)

فقوله هذا يدل على عدم قناعته بما قالوه، وأن الأمر بشأنها لم يرق إلى قناعة علمية عند من قالوا بهذا القول؛ إلاّ إذا كانت خضعت لدراسات بعد مقولة «بلغريف».

وما يعنينا من الدوائر الحجرية هو الموجود في بلادنا. وبلغريف ذكر أن من كانوا يرافقونه أثناء رحلته ذكروا له وجود دائرة أخرى من الأحجار الضخمة المماثلة، وأن دائرة ثالثة مماثلة موجودة بالقرب من «الحناكية».

من هذا يبدو لي أن هذه الدوائر الحجرية لها علاقة بعلامات الطرق، ولعل قولي هذا قد يكون أقرب إلى الصواب من إرجاع مدلولها إلى العبادات والشعوذة. أما بالنسبة للدوائر الحجرية الكبيرة التي شاهدتها بالعشرات على كل مسار من مسارات الطرق التي قمت بتتبعها، فليس عندي أدنى شك بأنها دلالات على الطرق، وملحق بها إشارات وأذيال يستدل بها المسافرون على ظهور الإبل. وانظر إلى نماذج من هذه الدوائر في آخر هذا البحث.

ثالثاً: فيليب ليبنز، ومشاهداته:

يعتبر «هاري سنت جون فيلبي» أكثر الرحالة الغربيين تجوالاً في أرض المملكة

العربية السعودية، حيث شغف بالتنقيب عن آثارها والنقوش والكتابات القديمة المرسومة على صفحات صخورها.

وما يكاد ينتهي من رحلة حتى يعاوده الحنين للقيام برحلة أخرى. وقد ساعده الحظ بالقيام بهذه الرحلات المتتابعة حينما وجد الموافقة والدعم من موحد هذه البلاد الملك عبدالعزيز (رحمه الله).

ولعلي أكتفي من هذه الرحلات باستعراض الرحلة التاريخية التي قام بها «فيلبي» مع مجموعة من علماء الآثار منهم كاتب هذه الرحلة «فيليب ليبنز».

وبما أن هذه الرحلة غطت مساحات واسعة من أرض المملكة العربية السعودية فإنها لن تبخل علينا بذكر العديد من المشاهد الآثارية التي نحن الآن بصدد الكلام عنها، وهي الدوائر، والمذيلات، والصُّوَى الحجرية.

وقد أحسنت «دارة الملك عبدالعزيز» بترجمة وطباعة كتاب «رحلة استكشافية في وسط الجزيرة العربية» تأليف «فيليب ليبنز» أحد أعضاء الرحلة. وقد ضمن المؤلف كتابه ذكر العديد من المشاهد التي استرعت انتباهه وانتباه زملائه.

وقد قمت بحصر ما وقفوا عليه من الدوائر والمذيلات الحجرية التي اعترضت طريقهم كلما سلكوا طريقاً كانت تسلكه القوافل قديماً.

وفيما يلي ما ذكره من هذه المشاهد الآثارية وتعليقي على ما قاله حولها:

١- قال في صفحة (٧٧):

(سنمر اليوم بمحاذاة واحات تندحة... وبعد تجاوزنا عدداً من القطعان وأضرحة كبيرة محاطة بشكل دائري بصفائح أحجار متراكمة، أفطرنا في ظل صخرة عظيمة شكلها شكل قارب..

ها نحن أولاء نعبر سهلاً رملياً يتراوح عرضه ما بين المترين(؟) وثلاثة كيلو مترات وهو محاط بأكوام غير مرتبة من الصخور المدورة.)

٢- في صفحة (٨٢) قال:

(لقد بني بئر «زيوة» بإتقان من أحجار يصل قطرها إلى مترين، وماؤه لا يبعد إلا بستة أمتار عن سطح الأرض.

وبالقرب من البئر نحتت علامة على صخرة محددة اتجاه الماء، وهي عبارة عن دائرة تتوسطها نقطة، وهو أسلوب قديم في تحديد مكان البئر حيث إنه يقيه من الاندثار في حالة انهمار سيول عنيفة تمسحه أو تهدم تجهيزاته الموجودة.)

التعليق:

في النص(١) قال عن الصُّوى المحاطة بصفائح أحجار متراكمة أنها أضرحة.

وهكذا كلما شاهد الرحالة في أرض الجزيرة من ركامات حجرية لا يدركون سرها قالوا عنها: إنها مدافن للموتى. وسيمر معنا هذا كثيراً.

أما في النص(٢) فقد أفادنا ليبنز فائدة كبيرة عندما أشار إلى العلامة التي نحتت على صخرة كدلالة على الماء، كما أحسن كثيراً في وصفه لهذه العلامة وأن شكلها دائرة في وسطها نقطة.

ولنرصد هذه الفائدة لنضمها إلى فوائد أخرى قد تساعدنا على حصر دلالات الأعلام وطريقة الاهتداء إلى موارد المياه الواقعة على طرق القوافل.

٣- قال في صفحة (٨٣):

(في الكيلو متر ٣٣[١] عثرنا على أثر غريب وهو عبارة عن مثلث من الأحجار يمتد مسافة ٢٦٥ متراً في السهل. لأي شيء كان هذا؟

هل للصيد أم للزراعة؟ من المستحيل معرفة ذلك. فالبدو لا يعيرون اهتماماً لتاريخهم سوى بعض الحكايات المتعلقة بالأنساب العائلية.)

٤- وفي صفحة (٨٩) قال:

لقد نصبنا المخيم في الطرف الشمالي من قمة لحية الجمل التي تسلقت فيها مسافة ١٨٠ متراً لأعثر في القمة على نظام معقد من الأسوار الصغيرة التي كانت تستخدم في صيد الحيوانات في زمن ما قبل التاريخ، وهي عبارة عن خمسة أسوار قصيرة من الحجر يتراوح قطرها ما بين ٥٠ إلى ٣٠٠ متر، ويوجد في مقابلها مجموعة من صفائح الأحجار يصل حجمها إلى متر مكعب.

---

(١) يقصد بهذه المسافة ما قطعوه من المرحلة التي يسيرون فيها حتى المنزل التالي.

لقد نزلت متأبطاً قطعة صفيحة رسم عليها وَعْلٌ يتبعه كلبان، وجدتها موضوعة على أحد الأسوار.)

التعليق:

أقول: مسكين «زمن ما قبل التاريخ» حيث أناط به الرحالة والآثاريون ما يصعب عليهم فهمه!! فهو الآن يئن من كثرة ما حملوه.

كانوا في الجاهلية إذا احتاروا في شيء قالوا عنه «عادي» منسوب إلى عادٍ قوم هود، أو ينسبونه إلى «إرَم».

وفي الإسلام يقولون «جاهلي» وفي أزمنة متأخرة يقول العامة «هِلالِيّ» منسوب إلى قبيلة بني هلال.

أما الرحالة والآثاريون فيبعدون النجعة، وينسبون ما يُجْهَلُ أمره إلى «ما قبل التاريخ» أو «الزمن الحجري».

وأعتقد أن هذه من شدة ذكاء الرحالة والآثاريين. ومن يعترض ما عليه إلاّ أن يحقق ويأتي بالقول الصحيح. والنتيجة معروفة.

أملي ألاّ يغضب مني إخواني متخصصو الآثار؛ فما هذه إلاّ دعابة آثارية. ويتساءل «ليبنز» عند مشاهدته لهذه المنشآت قائلاً:

لأي شيء كان هذا؟ هل للصيد أم للزراعة؟.

وأجده في رقم (٤) وهو يتكلم عن الأسوار الصغيرة، قال: إنها تستخدم في صيد الحيوانات في زمن ما قبل التاريخ.

أقول: إنه لمن المؤسف حقاً أن توجد عندنا مثل هذه الظواهر الآثارية التي يقف أمامها المتخصصون الأجانب مبهورين يضربون أخماساً بأسداس ثم لا يحرك أحد ساكناً مع تقدم علم الآثار في جامعاتنا، وكأن الأمر لا يعنيهم من قريب أو بعيد.

ولا شك أن هذه الشواهد الآثارية تنتشر في طول بلادنا وعرضها ولم يقف الرحالة منها إلا على النزر اليسير. وفي تتبعي لمسارات طرق الحج والتجارة وقفت على مئات الأشكال منها وأعرف أماكنها بدقة وأحتفظ بصور لها، وإذا كان هؤلاء الرحالة اندهشوا من هذه الدوائر والمذيلات التي تعتبر صغيرة الحجم إذا ما قيست

على ما يماثلها في الحرار واللابات ورأوا التعقيدات والرموز التي تمثلها تلك المنشآت، فماذا يقولون؟! بالنسبة لي أستبعد احتمالية كونها مصائد للحيوانات؛ لأن ارتفاع حوافها لا يتعدى المتر الواحد في الغالب، ومثل هذا العلو لا يمنع حيواناً من القفز من فوقه.

٥- قال ليبنز في صفحة (١٠٨):

(خرجنا من قمة القهرة عبر معبر نجد - رضم. حيث تقل النباتات شيئاً فشيئاً إلى أن أحطنا بمريبخ وهو عبارة عن سهل صحراوي شاسع وعتبته مبرقعة بالقبور، وهي عبارة عن أكوام صغيرة مكونة من الرمال المحصحصة).

٦- وفي صفحة (١١٤) قال:

(شاهدنا على القمم الكثير من الأطلال التي ما زالت على حالها على شكل أكوام دائرية من الحجارة المسطحة. أغلبها مربوط ببعضه بواسطة أسنان حجرية، وهي ليست شيئاً آخر غير قطع حجرية تتتابع تاركة بينها فاصلاً يقدر بمتر. توجد هذه الأكوام الدائرية التي تتجاوز قامتها أحياناً قامة رجل بوفرة في الكثير من مناطق المملكة العربية السعودية، وسيظل عددها والوقت الذي تطلبه فيها الاشتغال سرّاً بالنسبة إلينا. لكن البدو لا يهتمون بها بتاتاً، وفي جميع الحالات فإنهم غير قادرين على تقديم أي شَرْحٍ عنها.) انتهى.

التعليق:

هذه الأكوام الحجرية المتتابعة فوق هذه المرتفعات هي إشارات لتحديد مسار الطريق ووجهته، ولو أن «ليبنز» وزملاءه انحرفوا عن هذا المكان لما شاهدوا مثل هذه الأكوام التي اعتبروها قبوراً، ولكن صادف مسيرهم مع جادة الطريق القديم، وفي الغالب فإن السيارات تسلك جواد طرق الإبل القديمة.

٧- وقال في صفحة (١٢٢):

(وعند عبورنا مجرى شعيب السلم وجدنا به دائرة في مركزها نقطة تشير إلى مكان الماء. وتحت هذه النقطة توجد سلسلة من الخطوط العمودية المفصولة بمسافات متوازنة. كل خط يعادل خطوتين، وبما أن عدد الخطوط كان ٣٢ خطاً:

فهذا يعني أننا نبتعد عن مركز البئر بـ٦٤ خطوة.

وهذه القياسات مفيدة بشكل خاص عندما يخشى فقدان أثر إحدى الآبار، أو عندما يمر غريب عن المنطقة دون أن يعرف بوجود الماء قريباً من هذا المكان.) انتهى.

التعليق:

هذا هو ثاني نص يسدي لنا فيه «ليبنز» فائدة حول دلالات أعلام الطرق على مواردَ المياه. وكان قريباً كل القرب من معرفة سرِّ ما شاهده على طول طريق الرحلة: إلاّ أن عقدة «القبور» حالت بينه وبين معرفة السِّر الغامض المُحَيِّر!!.

٨- وفي صفحة (١٢٥) قال:

(وحسب الأماكن فإن ذروة الهضاب الرملية للأرض السوداء كانت تبدو وكأنها ألواح مكدسة. كانت هذه الأكوام المفتولة والمستديرة على شكل أنابيب تشبه مركز قيادة عملاق، حجم أصغرها يتراوح ما بين ٣ إلى ٤ أمتار مكعبة.) انتهى قوله.

التعليق:

ألم أقل لكم إنَّ «ليبنز» كان قريباً كل القرب من معرفة سرِّ هذه الأكوام المتتابعة؛ فهو لم يَعْدُ الحقيقة عندما وصفها بمركز القيادة؛ فهي بالفعل تقود القوافل المحملة إلى جادة الطريق. وكثيراً ما استرشدت بمثل هذه الأكوام التي وصفها أثناء تتبعي للطرق.

ويصل هؤلاء الرحالة إلى مدينة «نجران» قادمين إليها من «أبها» و«الخميس» وقد كانت بداية رحلتهم من جدة مروراً بالطائف ثم «تربة» ثم «رنية» ثم «بيشة». حتى وصلوا «نجران».

ومن نجران قاموا بجولة في أطراف الربع الخالي ومن وصفه للطريق قال:

٩- (لم يكن أمامنا سوى ثلاث سمرات تتحرك في الهواء الساخن. وقريباً منها كانت توجد بعض الألواح المصففة من الحجر الأبيض مركوزة في الرمال.)

١٠- في صفحة (١٥٨) قال:

(وبعد ٢١٠ كلم من الأخدود، وصلنا بئر «خطمة» المعلم بأربعة أحجار «علامات»...

وهناك آثار أخرى في حوالي عشرة مواضع مختلفة في المنطقة نفسها، ترى هل يمكن أن تكون آباراً قديمة؟

... غادرنا هذه الآبار التي ماتت منذ قرون والتي تمثل آثاراً عالمية. لقد تخلى الناس عن خطمة اليوم، والدليل على ذلك هو عدم وجود أي أثر لروث البهائم حولها...). انتهى قوله باختصار.

التعليق:

بالنسبة للأحجار المصففة المركوزة في الرمال حول السَّمُرَات الثلاث، ما هي إلا علامات يسترشد بها. أما الآثار العشرة حول «خطمة» فيبدو لي أنها ليست آباراً قديمة كما تراءى له، وإنما هي أعلام كالتي شاهدها حول البئر وقال عنها: إنها «علامات».

ووضع العلامات الحجرية في رمال الربع الخالي من الأمور البدهية؛ وإلاّ كيف يهتدي المسافرون عبر هذا البحر من الرمال على مورد ماء «خطمة»؟

١١- وفي صفحة (١٥٩) قال:

(... وكانت بعض المواقع مليئة بالأكوام الصغيرة البيضاء على شكل بوكسان «يشبه الحلزون» الذي يقول فيلبي بأنه كان يجده بكثرة خلال عبوره الربع الخالي).

١٢- قال في صفحة (١٦٠):

(كان هناك قبران بسيطان بسقفهما المبني من الأحجار الرسوبية الموضوعة فوق الرأس، الله يعلم بطبيعة موت أصحابهما في هذه المنطقة، كما كانت هناك قبور أخرى في المنطقة. وسنرى بعضها قرب المنخلي التي تذكرنا بوجود ركام من الجثوات[1] الحجرية الضارية في القدم، وهي التي كنا قد صادفنا بعضاً منها سابقاً، وهي عبارة عن أكداس دائرية بقامة الإنسان مكونة من أحجار متجاورة، بعضها له امتداد على شكل كُم طوله ١٥ متراً، معطياً للجميع شكل مغرفة مقلوبة، وبالنظر إلى طبيعة هذه القبور:

---

(١) لم يشرح لنا مترجم الرحلة معنى كلمة «جثوات» وبالرجوع إلى «لسان العرب» قال ابن منظور في رسم «جثَا»: (والجُثْوَة والجَثْوَة والجِثوَة، ثلاث لغات: حجارة من تراب متجمع كالقبر؛ وقيل هي الحجارة المجموعة. والجِثوة القبر).

فإننا نجزم بأن هؤلاء الأموات لم يدفنوا بسرعة. فهي عبارة عن صوان مقلم من جوانبه.). انتهى.

وفي صفحة (١٦١) صورة لإحدى هذه المغارف كتب بجانبها:

«والصورة رقم ٢٢ نوع من جثوات فترة ما قبل التاريخ بالربع الخالي».

فانظر إليها وقارنها بما سأضعه من صور لأعلام الطرق في نهاية البحث.

التعليق:

من استنتاجات «ليبنز» وقوة ملاحظته ووصفه الدقيق؛ يبدو لي أنه لو لم يكن مصاحباً لـ«فيلبي» لتوصل إلى السِّر الحقيقي وراء وضع هذه الركامات الحجرية التي شبه بعضها بالكم أو المغرفة المقلوبة، هذا تشبيه صادق ودقيق لأشكال بعض أعلام الطرق التي وقفت عليها في أنحاء متفرقة من أرض المملكة العربية السعودية.

كما يبدو لي أن «فيلبي» قد ترجح عنده أن ما سبق وشاهده من هذه الأشكال ما هو إلا مقابر للموتى؛ ولهذا أثر كثيراً في أعضاء الرحلة، فسلموا بهذا الرأي؛ مع أن العقل يستبعد التسليم بهذا التصور الغريب.

فمن ذا الذي سينقل الحجارة بهذا الكم ليدفن ميته في رمال الربع الخالي؟

لقد شاهدت مثل هذه «الجثوات» أعني «الأعلام» في وسط رمال «الدهناء»؛ وذلك أنني عندما كنت أحقق مكان «الدَّخُول» وحَوْمَل» اللذين ذكرهما امرؤ القيس في مطلع معلقته، اضطررت إلى قطع رمال «الدهناء» من الشرق إلى الغرب، وكان عرضها من هذا الجانب عشرين كيلاً. والمكان الذي سأقطعها معه هو مسار طريق «الحج البصري» عندما يصدرون مصعدين من «ذات العشر» بلدة (أم عشر حالياً) في طريقهم إلي منزل «الينسوعة» الواقع في مقطع الدهناء من الغرب.

وبما أنني سبق أن حققت مسار هذا الطريق من منزل «النباج» الواقع غربي «الدهناء» إلى ميقات ذات عرق فلم أتعرف على هذا الجزء من الطريق؛ لذا سألت رئيس مركز «أم عشر» عن الطريق الذي يسلكونه عبر رمال الدهناء باتجاه «الينسوعة (البريكة حالياً)، فقال هو طريق واحد وهو طريق القوافل قديماً وعلامات الطريق موجودة وسط رمال الدهناء حتى الآن.

كان يصحبني الأستاذ «سعد الشعيلان» وقد حرصنا على مشاهدة أي علم من تلك الأعلام: لكن نظراً لأن السيارات تتخذ لها مسارات متفرقة عند عبورها الرمال فلم نشاهد من هذه الأعلام شيئاً.

وبعد ذلك بسنة قمت بقطع هذا الحيز من رمال الدهناء وبصحبتي هذه المرة الأستاذ «سعد السالم» فحرصنا على أن نجد وسط الرمال شيئاً من هذه الأعلام، ومن حسن الحظ أن نمر على أحدها وذلك بعد أن توسطنا من رمال الدهناء.

انظر إلي صورة هذا العلم في آخر الكتاب الصورة رقم (٢٨). وهذا العلم مشابه لجثوات «ليبنز» الموجودة في الربع الخالي. وما أبعد ما بين هذين العلمين: جثوة ليبنز وعلم طريق الحج البصري.

١٣- في الطريق من نجران إلى اللدَّام، قال ليبنز» في صفحة (١٧١):

(كنا نسير على طريق البخور الخرافية التي كانت تعد في الأزمنة الغابرة مراكز دينية وتجارية وحربية في المملكة العربية السعودية.

وبعد مغادرتنا بئر حمى في اتجاه الشمال كنا نقتفي آثار طرق الجمال، وهي عبارة عن ممرات ضَيِّقة وسط الأحجار التي ينتشر فوقها حصى أسود كما تنتشر قشرة الحلزون وهي ناعمة تحت أقدام الجمال والحيوانات.

وفوق المرتفعات كانت تصطف أكوام الأحجار على شكل قبور تربط بينها مجموعة من النصب التي تتحول إلى خطوط مسننة كلما اقتربت من بعضها.). انتهى.

التعليق:

ألم أقل: إن «ليبنز» كان قريباً كل القرب من معرفة سر هذه الأكوام المصطفة فوق المرتفعات؟

إن وقوع هذه الأكوام على جانب الطريق القديم تكاد تنطق قائلة: إنني أعلام طرق ولست قبوراً.

١٤- قال في صفحة (١٨٤):

(في سهل المدبغ... وفي المنطقة نفسها كان يوجد قبر على شكل دائري مبني من الأحجار الطبيعية يرتمي منه ذنب طوله ٢١ متراً يقبع في صمته بينما يرقد هيكله العظمي فوق كتلة من الأحجار الرسوبية السوداء.)

التعليق:

في كل مشـهد من هذه المشاهد أتحرى أن يقول «ليبنز» ولو عبارة توحي برأي غير ما استقر في ذهنه، ولكن الأمر وصل به إلى تخيل الهياكل العظمية داخل هذه القبور المزعومة.

وتصل البعثة إلى قرية «الفاو» وهي الواقعة على الطريق التجاري القديم جنوب وادي الدواسر.

١٥- قال في صفحة (١٩٠):

(إن كلمة فاو تعني في اللغة العربية «منافذ» ومن بين هذه المنافذ كان يهمنا منها واحد يمتد من خشم قرية إلى خشم لحيان.

وتوجد في وسطه المنعزل في الرمال مجموعة صخور العبيد التي كان يستخدمها الرسامون الثموديون كثيراً بطبيعة الحال. وكنا نصادف في طريقنا آثار مرور سيارات.. وبعد التقاطنا لعدد من الآثار الحجرية التي كانت على شكل مثلثات ذات ملاحق على شكل ذنب، شرعنا في عبور الضفة الشمالية للمضيق خلال نصف ساعة، وقريباً من مضيق روضة العضرسية وجدنا مكاناً مرتفعاً كان مخصصاً للصلاة فوق إحدى الهضاب. إلى هنا كنا لا نزال نعثر على هذه المثلثات الحجرية المذنبة في أعلاها المختلف الطول.

كان الأمر غريباً بالنسبة لنا. تصوروا شارعاً واسعاً محاطاً من جميع جوانبه مبلطاً بهذه المثلثات المتقابلة كما يصطف الجنود في الاستعراض.

كانت هذه المثلثات تتداخل فيما بينها بنسق منتظم، حيث إن الذنب يلحق بالصخرة المجاورة له من جهة الشمال، ثم يندثر في الرمل من جهة الجنوب.

لابد أن يكون وراء هذا الاستعراض الحجري الصامت والعتيق المنسي لغز قد لايتمكن الناس من حله.) انتهى.

التعليق:

إن هذه الشواهد الآثارية الغريبة تحير الباحثين الآثاريين. وكل لغز له حل. ولن نستطيع حل مثل هذه الألغاز ما دمنا نعتقد أن أعلام الطرق التي كان يستدل بها المسافرون قديماً مقابر.

وإذا ما قورنت هذه المثلثات المذيلة بمثيلات لها موجودة فوق الحرار في شمال وغرب المملكة العربية السعودية؛ أمكن حينذاك معرفة السِّر الحقيقي. أما إذا استمر الآثاريون عندنا برفع عصا الاعتراض في وجه أي باحث يشكك في مقولة «المقابر الركامية» ونافحوا عن هذه المقولة؛ فإن اللغز سيستمر غامضاً حتى يقيض الله من تكون لديه الشجاعة فيفرق بين المقابر وأعلام الطرق على أساس علمي لا غبار عليه.

أما بالنسبة لي فمن تكرار التردد مع جواد الطرق القديمة والوقوف على أعلامها ذات الأشكال المختلفة؛ فقد أصبح عندي بفضل الله القدرة على التفريق بين صُوَى المدافن وصُوَى أعلام الطرق.

١٦- قال في صفحة (٢٠٣):

(اجتزنا من جديد المنحنى الغربي لجبال الريانية فلاحظنا وجود آثار أعمال كبيرة وغريبة ترجع إلى فترة ما قبل التاريخ. وهي عبارة عن كيلو مترات من الأسوار تلتقي بمرتفعات وذروات الجبال. تأخذ أحياناً شكل المذراة ذات أسنان ثلاث يصل طولها أحياناً إلى كيلو مترات، لينتهي مضيقها بأشكال كروية من الجثوات.

هذه الأعمال تنتشر في جميع جبال المنطقة، وهي ليست مسورة وليس بها أي نقش. يمكن أن يكون لها طابع ديني أو مأتمي، ولا شيء يدل على أنها ذات توجه عسكري أو رُعوي أو مخصصة للصيد.) انتهى قوله.

التعليق:

هذا الفريق العلمي المتخصص وقف حائراً أمام هذه الأشكال الغريبة ذات الرموز الغامضة، وكان مشجب «فترة ما قبل التاريخ» قريب المتناول فعلقوها عليه؛ لأن جميع الاحتمالات الوظيفية لهذه المشاهد الآثارية لا تتسع لتعليقها عليها؛ فهي كما قالوا عنها ليست ذات طابع ديني، أو جنائزي، أو دفاعات عسكرية، أو مصائد للوحوش.

وسوف تبقى هذه الشواهد غامضة حتى تنجلي حقيقتها الناصعة.

وبعد خمسين عاماً من قيام هذا الفريق العلمي برحلته يفاجئنا أحد متخصصي الآثار عندنا ليلوك مثل هذه الافتراضات البعيدة عن مستوى الحِسِّ الآثاري.

فيقول عن الدوائر والمذيلات الحجرية:

(لعلي أقدم بعض النقاط لمعرفة الغرض من إنشائها لتكون حلولاً مطروحة للنقاش من واقع المشاهد وهي:

١- معرفة الجهات الأصلية.

٢- طقوس دينية قديمة.

٣- حرز من الشياطين.

٤- مدافن وعلامات جنائزية.

٥- علامات وحدود قبلية.)[1] انتهى.

أقول:

لن أعلق بشيء على هذه الحلول المطروحة؛ حيث بح صوتي. نشرت رأيي في الصحف وضمن كتاب، وفي محاضرة ألقيتها في مكتبة الملك فهد. والأستاذ محمد الحمود (سلمه الله) ممن رفع في وجهي أصبع الاعتراض عندما نشرت عن الدوائر والمذيلات الحجرية لأول مرة في جريدة «الرياض» حيث كتب مقالاً في الجريدة نفسها بعنوان:

(المباني الدائرية ليست أعلاماً للطريق، وعلى الشايع أن يعيد النظر في الدوائر الحجرية).

ثم يوافينا أخيراً بهذه النقاط الخمس!!!.

١٧- وقال «ليبنز» في صفحة (٢٠٤):

(اتجهنا إلى بئر «العرجية» التي كانت محفورة على عمق ١٥ متراً...

وبالقرب منها كنا نجتاز سهلاً كثير التلال، حيث كان المرشد يسبقنا بحثاً عن معبر ملائم للسيارة... وبذلك وصلنا إلى قمة معتمة ومليئة بأحجار البازلت اسمها حويتان، حيث كنا أنا وجاك نعاين باستغراب دائرة واسعة من الحجر على شكل حظيرة للمواشي يصل قطرها إلى ٣٥ متراً محاطة بسور سميك يصل طوله قامة الرجل وليس لها مدخل. ولم يكن ذلك إلاَّ واحداً من مئات الأعمال التي تشبهه. وقد أذهلتنا هذه الأعمال الضخمة. وهنا تأتي الفرضية الإجبارية التي تقول:

---

(١) انظر كتاب «من آثار الرياض» تأليف الآثاري «محمد الحمود».

كانت المنطقة كثيرة السكان. وقد كانت شعاب الطيري التي نجتازها مستوية وسهلة المشي فوقها مع كثرة وجود أشجار الطلح بها، لكن مشهدها أصبح موحشاً بفعل تآكل قمتها.

وفي المساء حينما كنا نحيط بالنار كنا نتناقش حول هذا السؤال:

أليس الاستكشاف نوعاً من التهديم؟ أي تهديم المجهول. فالمجهول أيضاً يعد شيئاً. فمنذ الآن سيظهر اسم هَذه المناطق على الخرائط. وستكون هذه المناطق تابعة للرجال الذين سيضعون عليها أصابعهم ناطقينها بالمقاطع نفسها. أما قبل هذا الوقت فيمكننا القول إنها «كانت توجد» ولا شيء أكثر من ذلك.) انتهى قوله.

التعليق:

كما وقف ليبنز، وجاك مستغربين وجود هذه الدائرة الكبيرة التي تشبه حظيرة للمواشي؛ فقد وقفت على مثلها أثناء تتبعي للطريق التجاري من «حَجْر اليمامة» إلى «الكوفة» وهذه الدائرة تقع في الجهة الشمالية الغربية من «حزن بني يربوع» تطل على منخفض واسع يسمى «المْحَوَى» وهي شبيهة بتلك التي وصفها ليبنز وقد اتخذ منها أحدهم حظيرة لأغنامه. انظر إلى صورتها المنظر رقم (٤).

أما الفرضية التي أجبر «ليبنز عليها نفسه» فهي فرضية أملتها الحيرة في أمر هذه الدائرة وما هو على نمطها، ومثل هذه النظرية قال بها غيره في مكان آخر. وعندما تتضح الحقيقة وتصبح هذه المشاهد الآثارية مجرد أعلام ودلالات على مسارات الطرق؛ فسيعاد النظر في بعض هذه الافتراضات التي بنيت عليها بعض الدراسات الجيولوجية والآثارية!!!.

١٨- في صفحة (٢٢٧) قال:

(لقد توقفت السيارات بعد ذلك فوق سطح من الأحجار الرسوبية ذات اللون المائل إلى الحمرة، أسفل جزيرتين مسطحتين؛ هاتان الجزيرتان تعدان جزءاً من جبال صفراء الدميثيات».

كان هناك قبر ضخم فوق المرتفع، والكل كان داخل دائرة من الأحجار الطبيعية التي يبلغ قطرها ٣٢ متراً. تمتد هذه المنطقة إلى التخوم الغربية لنفود السِّر...) انتهى.

التعليق:

هذا المكان الذي توقفت فيه سيارات هؤلاء الرحالة، وهو في سفح صفراء «الدُّمَيْثِيَّات» وقد يسمي البعض الصفراء الجنوبية من فج «الضحوي» «رجم مغيراء» والصفراء الشمالية «رجم الضحوي».

ويبدو لي أن هذه التسمية أطلقت على هاتين الصفراوين لكثرة الرجوم المتتابعة عليهما، وهذه الرجوم ليست مقابر كما تبادر لذهن «ليبنز» ومن كان معه؛ وإنما هي أعلام تشير إلى مسارات الطرق.

وهذه الصفراء يتخللها ثلاثة طرق هي:

١- الطريق الأيمن لحاج «حَجْر اليمامة»، وهذا الطريق قد أكملت تتبع مساره وموارده وأعلامه من «حَجْر اليمامة» (الرياض حالياً) إلى مكة المكرمة. وضمنته كتابي «بين اليمامة وحجر اليمامة» وزودت الكتاب بالعديد من صور أعلام هذا الطريق من دوائر وصُوًى، ومذيلات.

٢- وشمالاً منه ينفذ «طريق المنكدر» وقد أوشكت بحمد الله على إكمال تتبع أعلام هذا الطريق من قرب مدينة «قرية» في الشمال الشرقي حتى قرب مدينة «الخرمة» في الجنوب الغربي.

٣- وشمالاً من هذين الطريقين ينفذ مع هذه الصفراء «طريق حاج اليمامة الأيمن» وهذا مازلت أتتبع أعلامه مكملاً ثلثي الطريق تقريباً.

ولكل من هذه الطرق الثلاثة وجهته وموارده.

ولو تجول هذا الفريق على طول الصفراء من جهة الغرب لعثر على دوائر، وصُوًى، ومذيلات.

وجميع ما على حافة «صفراء الدميثيات» من رجوم متتابعة هي عبارة عن إشارات لمسالك الطرق وليست مقابر!!.

١٩- وأختتم استعراضي لما ورد حول أعلام الطرق الواردة في هذه الرحلة الشيقة الممتعة بقول «ليبنز»: في صفحة (٢٢٩):

(كنا نتسلق هضبة الذيبي[1]، وهي امتداد متقدم للجرف المحيط بسهل المروت شمالاً. وفوق قمتها الموحدة وجدنا دائرة من الحجر يصل محيطها إلى ٧٢ متراً، وهي عبارة عن صف طويل من الحجارة التي تواصل امتدادها على أكوام الحجر الأخرى إلى غاية الهضبة المجاورة.

أما المرشد فكان اختلى بنفسه ودخل في صمت مطبق، وقد رفض إعطاءنا المعلومات التي طلبناها منه. ترى هل يتعلق أمره بسوء مزاج أم بجهله لما نطلب منه؟!.

فمن الذي يمكنه أن يخبرنا بما يجري في رأس البدوي؟

لقد أثار هذا الموقف شيئاً من الارتباك، ولذلك فقد أصبح لزاماً علينا الذهاب على غير هدى. وبعد أن قطعنا طريقاً كانت تعبره السيارات سرنا في اتجاهين متعاكسين بهدف العثور على بئر «خلايج»[2] التي نصبنا مخيمنا بالقرب منها، وقد اصطدنا فرخين من القطا التي كانت قد جاءت للشرب من البئر وقت الغروب.) انتهى قوله.

التعليق:

هذه الرحلة المفيدة للباحثين لم تترجم إلى العربية وتصدر في كتاب إلا مؤخراً أثناء إعدادي لهذا البحث، ولم أسمع عنها من قبل.

ومن التوافق العجيب أن يصعد هذا الفريق العلمي هضبة «المضباعة» قبل خمسين سنة من الآن ليصور لنا هذه الدائرة الواسعة الموجودة فوق قمتها (الصورة رقم ٣٧) صفحة ٢٣٠ من كتاب «رحلة استكشافية في وسط الجزيرة العربية».

ثم آتي بعد هذه المدة الطويلة لأقف خارج المحيط الغربي لهذه الدائرة لأصورها من المكان الذي وقف فيه مصور الفريق أو بفارق بضع خطوات، الأمر الذي جعل

---

(١) لا يوجد في المروت هضبة اسمها «الذيبي» وقد تبين لي من وصف «ليبنز» لها وللدائرة الموجودة فوق قمتها؛ أنها هضبة «المِضْبَاعَة» وهي التي فوقها الدائرة. ويبدو أن اللبس حصل نتيجة التقارب بين الذئب والضبع؛ فالعتب عليهما لا على «ليبنز» أو المترجم.

(٢) الصحة «الخلائق». وهو مورد ماء قديم يقع مطلع الشمس من هضبة «المضباعة» (أهوى قديماً) غير بعيد، وقد أصبح الآن بلدة عامرة بالاسم نفسه.

الصورتين شبه متطابقتين، وكما أن عدسة آلة تصوير الفريق لم تستوعب هذه الدائرة؛ كذلك حصل عندي.

وقد تضمن كتابي «بين اليمامة وحجر اليمامة» الذي صدر عام ١٤١٩هـ ١٩٩٨م. صورة هذه الدائرة في صفحة (١٨٩).

وإن كان لي من ملاحظة هنا فهي:

يبدو لي أن مترجم هذه الرحلة إلى العربية قد أسقط جملة تربط بين وصف الدائرة وبين قول ليبنز: «وهي عبارة عن صف طويل من الحجارة التي تواصل امتدادها على أكوام الحجر الأخرى إلى غاية الهضبة المجاورة».

فهذا الوصف الأخير يتكلم عن رجوم صغيرة متتابعة تسير من قرب محيط الدائرة الشرقي باتجاه مطلع الشمس حتى تصل إلى الهضبة المجاورة كما قال.

ولا شك أن لهذا الخط الطويل من الأكوام الصغيرة دلالته.

مسكين مرشد الفريق؛ إذ عندما فوجئوا بهذه الدائرة الغريبة الشكل فوق سطح هذه الهضبة، وأصبحوا يضربون أخماساً بأسداس من الحيرة والاستغراب. وجهوا أسئلتهم المتلاحقة إليه ظناً منهم أنه يعرف سرَّ الدائرة.

وما دروا أنه كان أشد منهم حيرة وارتباكاً؛ فلزم الصمت المطبق، وكما قيل: فاقد الشيء لا يعطيه.

وإذا أَرَدْتَ وصفاً واضحاً لهذه الدائرة وملحقاتها فاقرأ ما قلته في كتابي المذكور آنفاً صفحة (١٨٨).

وفي نهاية استعراضي لما جاء في كتاب هذه الرحلة الشيقة المفيدة أكرر شكري للقائمين على دارة الملك عبدالعزيز، ولاشك أن هذه من فوائد المناسبة المباركة وهي مرور مائة عام على استعادة الرياض؛ فرحم الله الملك عبدالعزيز رحمة واسعة.

رابعاً: عبر الجزيرة العربية على ظهر جمل:

هذا اسم كتاب رحلة «باركلي رونكيير» وفي الجزء الذي قطعه على ظهر جمله بين «الزلفي» و«الشماسية» في منطقة القصيم قال:

(ثم دخلنا منطقة صخرية وعرة تحيطها التلال التي نصبت فوق قممها بعض الرجوم؛ مما يدل على أن بعض الناس حطوا رحالهم قربها.

في هذه المنطقة أقام عبدالعزيز بن رشيد أمير حائل معسكره من عشر سنوات مضت. لقد دلت الرجوم وتلك الأماكن المحاطة بالحجارة التي تستخدم للصلاة وتشير إلى القبلة وأيضاً المباني الحجرية الصغيرة التي تقام لقضاء الحاجة وللوضوء، كلها دلت على الوقت التقريبي الذي أقيمت واستخدمت فيه.) انتهى قوله.

التعليق:

يختلف «رونكيير» في استنتاجه هذا عن بقية الرحالة، فلم يقل عن ما وقف عليه إنها قبور. ولكن يبدو لي أنه يهوى الهندسة المعمارية حيث علل وجودها بأن بعض الناس حط رحاله في المكان، فهو لم ينس حتى مكان قضاء الحاجة.

أقول: إن أعلام الطرق تحير من يقف عليها، وتجعله يعصر فكره للتأمل والاستنتاج. أما ربطه بين إقامة عبدالعزيز بن رشيد معسكره في هذه المنطقة، وبين وجود هذه الرجوم فليس بشيء.

أما وجود المصليات فليس بمستغرب لأن الغالبية من أعلام الطرق يلحق بها مصلى لتحديد اتجاه القبلة؛ فوجودها من الدلالات التي يسترشد بها المسافرون.

خامساً: يوليوس أويتنج، ورفيق رحلته «هوبر»:

قام «أويتنج» برحلته مع الرحالة «هوبر» إلى شمال «جزيرة العرب» في عام (١٣٠١هـ ١٨٨٣م)(*).

وبما أن هذا الرحالة وجه أكثر اهتمامه إلى استنساخ الكتابات والنقوش؛ فإنه لم يتطرق إلى ذكر المشاهد الآثارية التي لها علاقة بأعلام الطرق، أو المقابر كما تراءى له ولغيره من الرحالة إلاَّ في مكان واحد وهو في طريقه من «تيماء» إلى «تبوك» حيث قال:

(... اقتربنا من مرتفع مسطح يسمى شوهراً تعلوه هضبة مخروطية الشكل،

(*) إيرادي لمشاهدات الرحالة لم يكن خاضعاً للتسلسل التاريخي لقيامهم بهذه الرحلات، وإنما لاطلاعي على ما ورد في كل رحلة. وكتاب «أويتنج» لم يترجم إلى العربية ويصل إلى يد القارئ إلاَّ بعد فراغي من إعداد هذا الكتاب ومثوله للطبع.

ولدهشتي رأيت هناك مجموعة كبيرة من المنازل الحجرية الصغيرة الحجم، وقد اعتقدت - رغم معارضة هوبر - أنها قبور وليست أطلال مدينة، وبالفعل فحين اقتربنا منها تأكد لنا أنها المقابر القديمة لمدينة تبوك الواقعة على مسيرة تتراوح ما بين ثلاث إلى أربع ساعات باتجاه الشمال.

بعد أن صعدنا المرتفع كان في وسعنا أن نرى بوضوح تلك الأبنية الحجرية التي اعتقد البعض أنها مساكن، ولكن صغرها يؤكد العكس فإنها لا تتعدى كونها أضرحة مقابر، يتراوح ارتفاعها ما بين مترين إلى ثلاثة أمتار، وتتناثر بشكل غير منتظم فوق السطح الذي تقدر مساحته بحوالي ثلاثة إلى أربعة أكيال مربعة، ويتوسطه أيضاً تل دائري الشكل، أما تعدادها فيصل إلى مائتي قبر على الأقل، بنيت جميعها بحجارة رملية غير مهذبة، صفت فوق بعضها البعض، دون استخدام المونة لتثبيتها، وهي تأخذ أشكالاً شبه مربعة، والقليل منها يأخذ شكلاً دائرياً، أما من الداخل فهي مسقوفة بصفائح من الأحجار، ويصل تعداد حجرات بعضها إلى خمس حجرات صغيرة، وحينما قمنا بحفرية مبسطة لم نعثر على هياكل أو أي مقتنيات أخرى، كما لم نجد أي نقوش أو علامات تدلنا على ماهية تلك البنايات المشابهة تماماً للنواميس المعروفة في شبه جزيرة سيناء، وفي الجهة الجنوبية ثمة جدار ممتد ربما يكون بقايا من سور، وبعض المباني الحجرية مندفنة تحت ركام الأتربة وفوقها العديد من الكسر الفخارية.

من هنا انطلقنا مسرعين نحو تبوك التي كنا نشاهد معالمها منذ الصباح، وقد كان يقع أمامنا في السهل ناحية اليمين مجموعة جبال تسمى العريق...)[1] انتهى.

التعليق:

لا يختلف «أويتنج» و«هوبر» عن أمثالهما من الرَّحالة الذين اعترضت طريقهم تلك المشاهد الآثارية المحيِّرة الغريبة، فهم يكادون يجمعون على أنها مقابر؛ إلاَّ أن «أويتنج» علل ما شاهده ووقف عليه بأنه مقابر قديمة لمدينة «تبوك» التي تبعد عن الموقع ثلاث أو أربع ساعات لسير الإبل على حد قوله. ومن المعروف أن مقابر المدن

---

(١) رحلة داخل الجزيرة العربية: ص ١٧٤.

والقرى تكون مجاورة لها؛ لأن حمل الميت إلى قبره يتم - في الغالب - على أعناق الرجال.

فكيف يستساغ القول بأن هذه الركامات الحجرية التي تبعد كل هذه المسافة مدافن لمن يتوفون في تبوك؟!

ومما يؤيد أن ما وقف عليه «أويتنج» و«هوبر» ليست مقابر، وإنما هي أعلام للطرق القديمة ما أسفر عنه بحثهما في طريق عودتهما من تبوك إلى تيماء، حيث قاما بحفر مجسين في ركمين من الركامات الحجرية الموجودة فوق هذا المرتفع؛ قال «أويتنج» في صفحة (١٧٧):

(... ومن هنا اتجهنا مرة أخرى نحو مدينة الموتى شوهر، حيث قمنا هناك بإجراء حفرية في برجين، حتى اصطدمنا بالأرض الصخرية، دون أن نتمكن من الحصول على معلومات عن الفترة الزمنية، أو حتى صاحب القبر، وكل ما عثرنا عليه يتمثل فقط في آثار أقدام ضبعة، وبعض بقايا العظام) انتهى.

أقول:

لعل الحيرة أمام معرفة كنه هذه الركامات الحجرية هي التي ألجأتهما إلى الحفر لعلهما يجدان دليلاً يخرجهما من حيرتهما، ولكن يبدو لي أن ما أسفر عنه الحفر زاد الطين بلة، فغادرا الموقع بدون نتيجة مقنعة؛ اللهم إلاَّ إزعاج تلك الضبعة التي اتخذت من هذا المكان مأوى تأوي إليه وتختزن فيه عظيماتها.

وإن كان لي من كلمة أضيفها هنا فهي:

إنَّ أقوال الرَّحالة والمستكشفين حول الركامات والمذيلات والدوائر الحجرية، هي التي أربكت بعض متخصصي الآثار عندنا، حيث اختلط عليهم الحابل بالنابل؛ مما جعلهم لا يفرقون بين المدافن والمساكن الحقيقية وبين أعلام الطرق.

ولاشك أن هذا الخلط الغريب أوقعهم تحت طائلة التقصير حول ما بذله الأسلاف من أعمال جبارة بذلوا فيها الجهد والوقت والمال.

وسيستمر الوضع على ما هو عليه من التسابق في تدبيج البحوث وإصدار الكتب على هذا المنوال المغلوط - في نظري - وعندما تتحرك الجهات المسؤولة عن الآثار في بلادنا لوضع النقاط على الحروف، والتفريق بين مدافن الموتى وعلامات الطرق

القديمة، يكون الوقت قد سبقهم، وتبقى تلك البحوث والكتب شاهداً على عجزنا وتقصيرنا أمام الأجيال القادمة.

سادساً: ويندل فيلبس، ورحلته في عُمان:

يحسن أن نأخذ أنموذجاً من أقوال الرحالة عن هذه المشاهد الآثارية في جهات أخرى غير أراضي المملكة العربية السعودية، وأكتفي بما ذكره «فيلبس» في كتابه «رحلة إلى عمان».

١- قال في صفحة (٦) وهو في طريقه من عدن إلى مسقط:

(وبينما كنا نستكشف الجبل الأخضر رأينا مساحة هائلة من الأرض المقفرة العارية، ذات الارتفاع الهائل..

وهناك مساحات وعرة هائلة مليئة بالمقابر...)

٢- وقال في صفحة (٤١):

(بعد الاستقرار في مكتب الجمارك في صحار، ذلك المكان الذي جعله السلطان مقراً لإقامتنا، قمنا بزيارة كل الأماكن المحيطة به، والذي كنت قد عرفتها خلال رحلتي القصيرة الأولى، في نوفمبر عام ١٩٥٧ وكانت هذه الأماكن التي تشبه المقابر في وادي الملينية تمتد على كلا الجانبين لمسافة أربعة أميال ونصف، وهناك مقابر على هيئة فنجان، أو طربوش مقلوب، وهناك سور يبدو خرباً وله أبراج للمراقبة، ووجدنا عين ماء، تتبعناها حتى وصلنا إلى أبنية وأبراج مائية جميلة على أشكال هندسية، كل برج له بئر في المنتصف..)

التعليق:

يبدو أن «فيلبس» لا يختلف عن الباقين في اعتبار تلك الشواهد الآثارية قبوراً. ووصفه لها بأنها على هيئة فنجان أو طربوش مقلوب وصف دقيق. فالغالب في أعلام الطرق فوق الجبال على هذه الصفة التي ذكرها.

ولا يستبعد أن تختلط هذه الأعلام بمنشآت أخرى كالمستوطنات والمنشآت الزراعية. والأخيرة يعرفها كل من يشاهدها، ويفرق بينها وبين تلك الطرابيش المقلوبة!!!.

٣- في صفحة (٦٥) قال:

(وبين قرية حميلات وبين جبل القور فحصنا الأطلال الصغيرة التي تعرف محلياً بالخروص، وشاهدنا طوياً صغيراً جداً، ولم يكن للبحث قيمة كبيرة تذكر هنا في هذه البقعة المليئة بالصخور.).

التعليق:

كنت أتوقع أنهم لن يجدوا داخل هذه الخروص شيئاً؛ لكونها مجرد حجارة مركومة على بعضها. الهدف من وضعها هو أن يراها المارة على الإبل فيسترشدوا بها على جادة الطريق وموارد المياه.

٤- وقال في صفحة (٤٩):

(ومن أهم المناطق التي حيرت اهتمام المستكشفين في ظفار تلك الواحات التي تبعد بمسافة سبعة وخمسين ميلاً شمال شرق صلالة، في وادي النظور المتسع على الحافة الجنوبية لنجد....

ومن موقعنا هذا وخلال ساعة تقريباً وصلنا إلى تكوينات مدهشة تشير إلى وجود أنواع من الزراعة قديماً. كما وجدنا هنا اثنتي عشر(؟) مجموعة من أكوام الصخور، وقد كانت بالتأكيد مدافن تقع على الطريق المستقيم الذي يجري شمالاً وجنوباً، كما يوجد هنا خط مستقيم بموازاة الغرب، يتكون من مناطق حارة جداً، وكانت هناك نقوش على بعض الأحجار، ولكنها كانت غامضة وغريبة.

وبعد عشرين دقيقة لهثت فيها أنفسنا وصلنا إلى أطلال ماسونية وأسوار على قمة هضبة مستديرة يبلغ قطرها خمسين ياردة، وهناك سور دفاعي في الجزء الشمالي. وأفضل تفسير لهذه الأطلال هو:

أنه كان يوجد هناك حصن للحراسة والسيطرة على مزارع اللبان الذكر، وأنها كانت منطقة هامة لإنتاج البخور، وعلى أية حال فإن واحات نظور كانت محطة هامة للراحة على طريق القوافل المارة في الطريق إلى الخليج في الشمال وإلى حضرموت في الغرب.) انتهى كلامه.

التعليق:

أقول: هذه التكوينات التي حيرت المستكشفين في ظفار؛ هي التي حَيَّرت المستكشفين في أراضي المملكة العربية السعودية كما مَرَّ معنا.

ويقول عن الأكوام التي شاهدها: إنها بالتأكيد مدافن تقع على الطريق المستقيم. الذي يتجه من الشمال إلى الجنوب. الخ.

أقول: ليس هناك حقيقة علمية أو قرينة قوية تدعو إلى التأكيد بأنها مدافن والأرجح أن تكون علامات للطريق الذي يمر بهذا المكان.

أما أنا فلا يمكنني الجزم بشيء عنها؛ لأنني لم أقف عليها وأتفحصها وأقارنها بغيرها.

خلاصة القول في آراء الرحالة والمستكشفين:

لا يُجْحَدُ فضل هؤلاء الرحالة وما قاموا به من جهود مضنية في سبر خفايا «جزيرة العرب» وسوف ينهل مما كتبوه كل طالب للمعرفة في مجالات شتى على مَرّ السنين.

وما هذه الشواهد الآثارية التي مَرُّوا بها وكتبوا عنها إلاَّ نزر يسير مما كشفوا عنه وسلطوا عليه الضوء. وكل واحد منهم أدلى بدلوه وأورد رأيه بما شاهده ووقف عليه من هذه الأشكال الغريبة التي تدعو إلى الحيرة عندما أراد معرفة الهدف من إنشائها على اختلاف أنواعها.

فمنهم من قال: إنها مساكن موغلة في القدم.

ومنهم من قال: إنها معسكرات، أو مقرات مراقبة.

ومنهم من قال: إنها أماكن للعبادة.

والغالب منهم يرى أنها مقابر ومدافن.

وجميع أصحاب هذه الآراء لم يذكروا لنا ولو دليلاً واحداً مبنياً على أساس علمي يُقتنع به، وحتى من حفروا مجَسَّاتٍ في بعض المواقع لم يعثروا على شيء ذي بال يدعم الرأي الذي يميلون إليه.

ولذا أقول: إن الغالبية مما رآه هؤلاء الرحالة سواء كان على شكل دوائر بجميع ملحقاتها، أو صُوًى منفردة، أو مذيلات؛ ما هي إلاَّ أعلام للطرق ليس إلاَّ.

ولو أن أحدهم سار مسافات طويلة مع أحد طرق القوافل؛ لاستمرت معه هذه المشاهد. وإنما يجدونها عندما يتقاطع الطريق الذي يسلكونه مع أحد طرق القوافل القديمة.

نافذة على دلالات أعلام الطرق:

لم أكن أنوي إقحام نفسي في ذكر شيء من مدلولات أعلام الطرق؛ لمعرفتي مسبقاً أن هذا الطريق شائك وصعب المرتقى، وأنه لابد من تنقية هذا الطريق وتسهيله قبل الولوج فيه؛ ولذا قلت عندما تكلمت عن أعلام الطرق في كتابي «بين اليمامة وحجر اليمامة- تحقيق طرقهما القديمة وأعلامها المثيرة» صفحة (٨٨).

«الكلام عن مدلولات هذه الأعلام يحتاج إلى كتاب مستقل. بعد حصر الكثير من الأعلام ووضعها في مجموعات، ثم التعرف على العناصر التي تربط بينها والغرض الذي وضعت من أجله في مكانها الذي بنيت فيه.»

وقد أدركت أن مثل هذا العمل لن يستطيع القيام به فرد ذو إمكانات محدودة؛ بل إن القيام به يتطلب فريقاً متكاملاً تتوفر في أفراده حاسة الاستنباط مع الصبر والجلد على تتبع مسارات الطرق القديمة، وتصنيف ما يوجد من هذه الأعلام ومتعلقاتها بأشكالها المختلفة في بيانات، مع استخدام الحاسوب لهذا الغرض، بعد إعداد برنامج خاص بهذا الموضوع.

ومع المثابرة لاشك أن هذا الفريق سيحصل على نتائج توصله بالتالي إلى معرفة ما تدل عليه هذه الأعلام وما ترمز إليه؛ لأن هذه الرموز الملحقة بالأعلام عبارة عن وصف صامت يقرؤه من لا يعرف الكتابة ممن يعبرون جواد هذه الطرق.

ويقيني أن أفراد هذا الفريق الذي يجب أن تتوفر فيهم شروط تؤهلهم لتنفيذ هذه المهمة؛ لن يقفوا مبهورين أمام هذه المنشآت الغريبة مثلما فعل الرحالة الغربيون حيث وقفوا أمامها يضربون أخماساً بأسداس!!

وأجدني أمام إلحاح الإخوة الذين كانوا وما زالوا يرافقونني في رحلاتي عبر مسارات الطرق القديمة، وإصرارهم على أن أقحم نفسي فيما أحجمت عنه؛ انسقت وراء هذا الإلحاح. وعسى أن أوفق إلى ذكر شيء – وإن كان قليلاً – مما قد يعين على تكوين مفهوم مدلولات هذه الأنماط الغريبة المنتشرة في طول بلادنا وعرضها، فأقول:

لو كنت عرفت ما تدل عليه «الدائرة» مع ما حولها من ملحقات، وكذلك الصُّوى التي تنطلق منها أذيال قد تطول وقد تقصر وهي تشير إلى جهة معينة، وقد يلحق

بهذا الذيل أو ذاك رموز تحتاج إلى حل. أقول لو كنت عرفت هذا، لما تكرر فقدي لأعلام الطريق الذي كنت أتتبعه ثم لا أعثر على استمراريته إلاّ بعد القيام برحلة أو رحلتين. ولو أني تعرفت على هذه الدلالات؛ لاختصرت الشيء الكثير من الجهد والوقت، ولكني أبني تتبعي على التوقع والحدس أحياناً، وهذا يوقع في الخطأ.

ولعل أول ظاهرة لهذه الأعلام أجبرتني على أن أشحذ الذهن؛ هي تلك «الصُّوَى» الموضوعة على مداخل التلاع في الجانب الشرقي من جبل «ثهلان» حيث أن هذه الصوى منحازة عن جادة الطريق؛ مع أن المار يشاهدها.

وقد انقسم فريق هذه الرحلة – ونحن ثلاثة – في ترشيح دلالة لهذه الصوى المتنحية في مداخل التلاع.

ولا أخفي بأنني بقيت أسبوعاً كاملاً وأنا أفكر في الوظيفة التي وضعت هذه الصوى من أجلها. وبعد لأي لمعت فكرة أنها موضوعة للدلالة على وجود مجمعات مياه إذا سالت، مثل «القلات» و«الأوشال» وغيرها.

وعلى الفور شخصت إلى هذه «التلاع» ودخلتها واحدة بعد أخرى.

وكانت مفاجأة عندما عثرت على ما توقعته؛ حتى أن أحد الأوشال دلني عليه صوت خرير المياه.

ومما أيد هذا أن التلاع التي لا يوجد فيها تجمعات مياه خالية من هذه الصوى.

ونتيجة لذلك تذكرت أنني سبق وشاهدت شمالي مدينة الرياض أثناء تتبعي لأحد الطرق التجارية صُوَّة كبيرة في مكان منخفض على ضفة شعيب تكثر فيه الحجارة وقد احترت في معرفة الغرض الذي عمل من أجله هذا الركم الهائل من الحجارة: فهو بلاشك ليس علم طريق لأن الأعلام توضع عادة على نشز من الأرض ليتمكن المسافرون من رؤيتها وانصرفت عن الموقع بدون نتيجة.

وعندما تعرفت على وظائف هذه الصوى، أعدت الكرة بزيارة ذاك الركم الواقع على ضفة الشعيب، وبعد التمعن وجدت بجواره في المجرى ما يشبه القلتة وكانت أرضها متشققة من غريف السيل المتجمع فيها عند نزول الأمطار.

وكما يقال: إذا عُرِفَ السبب بطل العجب.

وارجع إلى صور التلاع في جبل ثهلان وانظر الصوى بمداخلها في كتابي المذكور آنفاً الذي حققت فيه مسار الطريق الأيمن لحاج «حجر اليمامة».

أما إذا أعدنا النظر في أبيات الشعر التي مرت معنا في أول هذا البحث فسنجد من بينها ما يعطي إشارة إلى وجود دلالات لأعلام الطرق، وكذا موارد المياه التي يردها سالكو هذه الطرق. فدعونا نطل إطلالة عَجْلَى من هذه النافذة:

من ذلك قول «الجليح» وهو يَرتجز:

والرَّكْبُ فوق لاحِبٍ مُلْسِ الحَصَى
أَبْلَقَ لا يقضي به القَومُ الكَرَى
مُعَبَّدٍ يَهْدِي إلى مَاءٍ صَرَى
طامي الجِمَامِ لم تُكَدِّرْهُ الدِّلا
بجانبيه زَقَيَاتٌ للصَّدَى
يهدي الضَّلُولَ ينتحي حيثُ انْتَحَى
له علاماتٌ على حَدِّ الصُّوَى.

هنا يحسن إلقاء الضوء على بعض معاني الكلمات الواردة في هذا الرَّجَز.

فأقول:

ذكر الشاعر أن هذا الطريق اللاحب المخوف الذي لا يركن سالكوه إلى النوم خشية العطش. إلاَّ أنه ذكر أن هذا الطريق ممهد يهدي إلى مورد ماء طامي الجمام؛ لقلة وارده لبعده عن الناس.

وقد ذكر أن بجانبي هذا الطريق «زقيات» لـ«الصَّدَى» وأنه ذو أعلام يهتدي بها الضال عن الطريق حيث ينتحي مع الجادة حيث انتحت.

وخوفاً من الضياع في هذه المتاهة ذكر أن لهذا الطريق ووجهته علامات بجانب الصوى يستدل بها المسافرون.

هذا الرجز واضح الدلالة، وليس فيه من الكلمات الغامضة سوى كلمتين هما «زقيات» و«الصَّدَى» وبما أن هاتين الكلمتين تعنيان الشيء الكثير بالنسبة لدلالات الأعلام؛ فإنه لابد من معرفة معنييهما بدقة.

فلننظر في ما قاله شارح الديوان عنهما:

شارح الديوان هو الأستاذ «قدري مايو» وقال في شرح هاتين الكلمتين:

(زَقَياتُ: صيحات. الصَّدَى: رجع الصوت. والمراد أن المكان واسع نائي الأبعاد. لعله أراد أن الصَّدَى يهدي الضلول الذي ضل الطريق فيتبعه.)(١) انتهى قوله.

- التعليق:

أقول: يبدو أن شارح الديوان أخذ أقرب المعاني لهاتين الكلمتين، ولكن هذا المعنى الذي أورده لا يتمشى مع جَوّ الرجز؛ فالجُلَيْحُ يصف لنا طريقاً في مفازة يخشى فيها المسافرون الموت من العطش. ولهذا أورد الشاعر ذكر ما يهتدى به إلى مورد الماء، وهي «الزقيات».

وإذا أخذنا بالمعنى الذي ذهب إليه الشارح وهو أن الزقيات الصيحات، وأن الصدى رجع صدى هذه الصيحات. وأن هذا الصدى يهتدي به من ضل الطريق.

أقول: إن من يتبع الصدى وهو رجع الصوت كمن يجري وراء سراب يحسبه ماء حتى إذا جاءه لم يَجِدْه شيئاً؛ فكذلك الصدى، فمن تبع رجع صوته بين الجبال قاده إلى الضياع والعطش.

وقد حقق ديوان الشماخ بن ضرار الأستاذ «صلاح الدين الهادي» - ذخائر العرب - وفي شرحه لمفهوم هاتين الكلمتين؛ وافقه الأستاذ «قدري مايو» فيما ذهب إليه فهما لا يختلفان في شرحهما.

لهذا فإن الأمر يتطلب البحث عن معنى أقرب إلى جو القصيدة. فهل يسعفنا أهل اللغة بهذا؟

الزَّقَيَاتُ:

قال صاحب «لسان العرب» في رسم «زقا»:

(الزَّقْوُ والزَّقْيُ: مصدر زقا الديك والطائر والمُكَّا والصَّدَى والهَامَةُ ونحوها... وقد تعدو ذلك إلى ما لا يُحسُّ فقالوا: زَقَتْ البَكْرَةُ؛ وأنشد ابن الأعرابي:

وَعَلَقٌ يَزْقُو زُقَاءَ الْهَامَهْ

---

(١) ديوان الشماخ بن ضرار: ص ١٢٩.

العَلَقُ: الحَبْلُ المُعَلَّق بالبكرة، وقيل: الحَبْل الذي في أعلاها، قال:

لما كانت القامةُ[1] معلقة في الحبل جُعِلَ الزُّقَاء لها، وإنما الزُّقاء في الحقيقة للبكرة... والزقية الصيحة.).

فما هي الزَّقَيَات التي ربطها الشاعر بـ«الصَّدَى»؟

الصَّدَى: هنا العطش، وليس المعنى الآخر (الصوت).

إذاً الزقيات لها علاقة بهذا الماء الذي وصفه بالكثرة وأن الدلاء لم تكدره.

فإذا عرفنا أن الدلو إذا أنزلت في البئر يكون الرِّشاء الذي هي مربوطة فيه فوق البكرة في مجراه، وكلما أنزلت الدلو في البئر أو أخرجت منها تسمع للبكرة المسكينة أنيناً وصياحاً، فهذا هو الزَّقْو المقصود هنا.

ويجوز أن الشاعر سمى البَكَرات بالصوت المنبعث منها فهي «الزَّقَيَات».

وكثيراً ما أجد حول دوائر وصوى أعلام الطرق دوائر حجرية صغيرة محكمة.

أفلا تكون هذه الدوائر الحجرية؛ هي الزقيات التي قال عنها الراجز:

بجانبيه زقيات للصدى

هذا ما سنتحرى عنه جوانب الأعلام المنتشرة على طول مسارات الطرق. وحيث جرتنا «الزَّقَيات» إلى الدوائر الحجرية التي تشبه دائرة البكرة أو دائرة البئر الضيقة. دعونا نلقي نظرة على ما قيل حول الدوائر وموارد المياه:

---

(١) في المطبوع «الهامة» خطأ، والصواب «القامة» ففي رسم «عَلَق» من لسان العرب نفسه.

قال: «والعَلَقُ: الذي تُعَلَّقُ به البكرة من القامة قال رؤبة:

قَعْقَعَةَ المِحْوَر خُطَّافَ العَلَقْ

يقال: أعرني عَلَقَكَ، أي أداة بَكَرَتك، وقيل: العَلَقُ البَكَرَة، والجمع أعلاق.

... وقيل العلق القامةُ والجمع كالجمع، وقيل: العلق أداة البكرة، وقيل هو البكرة وأداتها، يعني الخطاف والرشاء والدَّلو، وهي العَلَقَة.

... وقيل: العَلَقُ الحبل الذي في أعلى البكرة، وأنشد ابن الأعرابي أيضاً:

بِئْسَ مقامُ الشيخ بالكرامهْ

مَحَّالَةٌ صَرَّارَةٌ وقامهْ

وَعَلَقٌ يَزْقُو زُقَاءَ الهَامَهْ.

إلى آخر ما قال.

١- قال «ليبنز» كما مَرَّ معنا في صفحة (٤٢) عن بئر «زيوة»:

«وبالقرب من البئر نحتت علامة على صخرة محددة اتجاه الماء، وهي عبارة عن دائرة تتوسطها نقطة، وهو أسلوب قديم في تحديد مكان البئر حيث إنه يقيه من الاندثار في حالة انهمار سيول عنيفة تمسحه أو تهدم تجيهزاته الموجودة.».

وكذا قوله المذكور في صفحة (٤٤) من هذا الكتاب:

«وجدنا به دائرة في مركزها نقطة تشير إلى مكان الماء. وتحت هذه النقطة توجد سلسلة من الخطوط العمودية المفصولة بمسافات متوازنة.

كل خط يعادل خطوتين، وبما أن عدد الخطوط كان ٣٢ خطاً؛ فهذا يعني أننا نبتعد عن مركز البئر بـ٦٤ خطوة. وهذه القياسات مفيدة بشكل خاص عندما يخشى فقدان أثر إحدى الآبار، أو عندما يمر غريب عن المنطقة دون أن يعرف بوجود الماء قريباً مِن هذا المكان.) انتهى.

أقول: كان بودي أن «ليبنز» أفادنا عن مصدره الذي استقى منه هذه الدلالات. هل أخذها من كتاب قديم، أم أخبره بها من كانوا يرافقونهم من أبناء الوطن، أو من سكان المنطقة؟

وعلى أية حال، هذه المعلومات التي زودنا بها تضاف إلى رَقَيَاتِنَا.

ولعل الشيخ «عبدالله بن أحمد الناخبي» أشار إلى شيء من هذا القبيل؛ حيث قال في كتابه عن «حضرموت»:

(أما العبر مركز من مراكز الدولة المنتشرة في الصحراء ويقع في الشاطئ الغربي من الوادي المسمى بوادي أرغد، وفي هذا الوادي تكثر الآبار القريبة الماء، وتنتشر العلامات التي سجلتها حمير. إن أكثر من مائتين وخمسين بئراً من هذا الوادي وقد طمرتها السيول وقلة الأيدي العاملة لإعادتها، وكانت حمير قبل ألفي سنة تعتمد على هذه الآبار وتحافظ على بقائها، وقد كان الوادي عامراً بالأشجار والنخيل في يوم ما.

وقد فطنت حمير أن الدهر ذو غير وأن الآبار قد تطمر وقد لا يهتدي إليها أحد فعمدت إلى الصخور ووضعت نقبات عدة تنتهي آخر نقبة إلى الجهة التي فيها البئر،

وبعدد النقبات تكون عدد الخطوات، فإذا أردت الاستدلال على بئر مطمورة فاعمد إلى إحدى الصخور واتجه إلى الجهة التي تشير إليها آخر نقبة واخْطُ خطوات بعدد النقبات، ثم ابحث فستجد بئراً صالحة مبنية بناء محكماً وما عليك إلاَّ إخراج الأتربة والحجارة التي وضعتها السيول على عمق بسيط يظهر الماء العذب.)[1] انتهى ما نقلته من كلامه.

أقول: هذه الحجارة التي توضع دلالة على مصادر المياه سواء كانت آباراً أو تجمعات مياه الأمطار؛ أسلوب معمول به على جواد الطرق القديمة وليس الهدف منها فقط خشية اندثارها، ولكن ليستدل المسافرون من غير أهل البلاد على هذه المياه عند مرورهم، وقد رصدت عدة مواقع في نجد بهذه الصفة. حتى أن هذه العلامات قد تقود إلى ردهة كبيرة في عرض هضبة ملساء تتجمع فيها مياه الأمطار وهي تشبه الخزان ويمكث الماء فيها مدة طويلة.

وأحياناً تجد هذه العلامات تقود إلى «جُبْء» في صخر أملس في أرض مستوية لا يستدل عليها من لا يعرفه إلا بهذه العلامات المتتابعة.

ومن معنى «الزَّقَيَات» إلى معنى «الصَّدَى»:

الصَّدَى:

بجانبيه زَقَيَاتُ للصَّدَى
يهدي الضُّلُولَ يَنْتَحِي حيث انتحى
له علامات على حَدِّ الصُّوَى

معنى «الصَّدَى» هنا ليس رجع الصوت كما قال الشُّرَّاح؛ وإنما يعني العطش.

وهذا المعنى هو الذي يتمشى مع جو القصيدة.

قال ياقوت الحموي في رسم «صَدَيان»:

«صَدَيَانُ: بلفظ تثنية الصدى، وهو ذكر البوم أو العطش: موضع أو جبل.).

وقال في رسم «صُدَيّ»:

(صُدَيّ: بوزن تصغير الصَّدى، وهو العطش، أو ذكر البوم. اسم ماء...».

---

(١) حضرموت: فصول في الدول والأعلام والقبائل والأنساب، أو شذور من مناجم الأحقاف: ص ٤٨- ٤٩.

وقال اليزيدي:

(الصَّدَى: العَطَشُ، صَدِيَ يَصْدَى صَدًى، وهو صادٍ.

والصَّدَى: الجَسَدُ الميت، يقال: لا سَقَى اللّه صَدَاك الغيث...)(١).

الملاحظ أن ياقوت الحموي، واليزيدي؛ ذكرا أن من معاني «الصَّدَى»: العطش، وذكر البوم. فما هو الربط بين العطش وذكر البوم؟

هذا ما شرحه لنا صاحب كتاب «خزانة الأدب» حيث قال:

(... والصَّدى هنا بمعنى ما يبقى من الميت في قبره، ومنه قول النَّمِر بن تولب الصاحبي رضي الله عنه:

أَعَاذِلِ إِنْ يُصبح صَدَايَ بقفرة	بعيداً نَآني صاحبي وقريني

... وله معان آخر: أحدها ذكر البوم، ثانيها: حُشوة الرأس، يقال لذلك الهامة والصَّدى، وتأويل ذلك عند العرب في الجاهلية: أن الرجل كان عندهم إذا قُتِلَ فلم يدرك به الثأر، أنه يخرج من رأسه كالبومة وهي الهامة والذكر الصَّدَى فيصيح على قبره: اسقوني اسقوني! فإن قُتِلَ قاتله كفَّ ذلك الطائر. قال:

ياعمرو إن لا تدع شتمي ومنقصتي	أضربك حتى تقول الهامة اسقوني...)(٢). انتهى.

---

(١) ما اتفق لفظه واختلف معناه: ص ٢٥٠.

(٢) خزانة الأدب: ص ٢/٨٤.

كلمة أخيرة:

هذه الأعمال الجبارة التي مَهَّدَ الأجداد فيها طرق القوافل للحج أو للتجارة، أعمال لا يمكن طمسها بهذه الصورة التي قالها الرحالة والمستشرقون، ثم انساق وراءهم بعض المنتسبين للآثار في بلادنا.

إن من يسير مع أي طريق من هذه الطرق يصاب بالدهشة والإعجاب مما يراه: فالأعلام على اختلاف أشكالها منصوبة، «والعقبات» و«النُّقبُ» في الجبال مُدَرَّجَة وممهدة، والمسالك في الحرار منقاة.

وبعد ذلك يأتي من يقول إن العرب والمسلمين لا يحسنون إصلاح الطرق والاعتناء بها أمثال «آدم متز» حين قال وهو يتكلم عن «المواصلات البرية عند العرب»:

(لم يعمل العرب أيام سيادتهم على تقدم نظام الطرق البرية في بلاد المشرق؛ لأن العرب أمة ركوب لا تميل إلى تمهيد طرق الجيوش ولا إلى اتخاذ المركبات... على أن فرق المشاة الرومانية كانت قد مهدت بعض الطرق في جزء من بلاد العرب، ولكن لم يبق من آثارها إلاّ ألفاظ قليلة مأخوذة من اللاتينية؛ هذا إلى جانب علامات الطرق المسماة بالأميال.

أما الأيتار المُلَيْكي «الطريق السلطاني» فقد أخذ العرب طريقة إنشائه عن الفرس؛ كما أخذوا عنهم هذه التسمية.

ولعل طرق ذلك العهد شأنها شأن طرق اليوم لم تكن إلاّ شبكة من المسالك المطروقة لا يربطها نظام، ولا نسمع عن عناية العرب بتعهد الطرق...)(١). انتهى.

لن أعلق على هذا القول لآدم متز؛ لأن تحامله على العرب واضح. ويرد عليه ما سبق من أقوالهم شعراً ونثراً حول مسالك طرقهم وأعلامها ذات الأشكال والأنماط المختلفة التي ما زالت قائمة تدحض كل منتقص لقدرات أسلافنا ومهاراتهم.

وهذا القول وأمثاله حمل البعض على طمس مآثر أسلافنا وإرجاعها إلى عصر ما قبل التاريخ!!!

أرجو أن أكون قدمت في هذا الكتيب ما ينير الدرب أمام الباحثين عن تراث الأجداد. وفي عزيمة الشباب وعلمهم وحكمتهم لنا مطمع.

إن أريد إلاّ الإصلاح ما استطعت، وما توفيقي إلاّ بالله.

---

(١) الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، أو عصر النهضة الإسلاميه: ص ٢/٤٠٤.

خلاصة البحث

كانت طرق القوافل التجارية في العصر الجاهلي تشق أرض «جزيرة العرب» طولاً وعرضاً. وعندما جاء الإسلام اعتنى الخلفاء والولاة بهذه الطرق؛ وخاصة منها تلك الطرق المتجهة إلى مكة المكرمة؛ حيث وجدت اهتماماً خاصاً.

فحفرت الآبار، وأنشئت البرك لحفظ مياه السيول، وبنيت الاستراحات في منازل الطرق. كما أقيمت الأميال والأعلام ليهتدي بها المسافرون.

وهذه الأعلام هي التي تمكنت على ضوئها من تحقيق مساري طريق «الحج البصري» والطريق الأيمن لحاج «حَجْر اليمامة».

الغريب عندي في هذا الشأن أن الرحالة الغربيين عندما جابوا «جزيرة العرب» في رحلاتهم ومغامراتهم المشهورة عند مشاهدتهم للدوائر والمذيلات والصُّوَى المنتشرة هنا وهناك في السهول والنجاد؛ وقفوا أمامها حائرين لعدم وضوح الغرض من إنشائها. ويكادون يجمعون على أنها مدافن ومقابر ترجع إلى العصور الحجرية. والنادر منهم من وقف أمامها موقف المتسائل.

ويبدو لي أن بعض متخصصي الآثار عندنا نهجوا هذا النهج فاختلطت عندهم أعلام الطرق فلم يفرقوا بينها وبين المساكن والمدافن القديمة لقرب الشبه بينها.

وعندما نشرت لأول مرة عن رأيي حول هذه الدوائر والمذيلات والصُّوَى ثارت ثائرة بعض من يميلون إلى رأي الرحالة؛ فأبدوا وجهات نظرهم التي لم أقتنع بها؛ لأنها لا تستند إلى أساس علمي مدروس ذي نتائج مقنعة.

والدليل على أن الفرق واضح بين ما هو أعلام طرق وبين ما هو مساكن ومدافن موغلة في القدم: أن تلك الأخيرة تحقق علماء الآثار من هويتها بما أخرجوه منها من معثورات أثرية.

أما أعلام الطرق فلم تفصح لهم عن شيء مما طلبوه منها لأنها حجارة مجمعة لغرض معين هو الاستدلال بها ليس إلاّ.

ومحاولة مني للتقريب في وجهات النظر، ودفاعاً عن هذه المجهودات الكبيرة التي قام بها الأسلاف حتى لا تتحول إلى أشياء تضيع في متاهات زمن ما قبل التاريخ!!

فقد أقدمت على تأليف هذا الكتاب الذي آمل أن يحقق الفائدة. وملخصه كما يلي:

١- بما أن علماء البلدان والمؤرخين عندما كتبوا عن مسارات بعض الطرق القديمة لم يذكروا شيئاً من أعلامها الموضوعة فوق الأكمات والجبال عبر مساراتها؛ اللهم إلاَّ ما ذكروه عن أميال طرق الحج الرئيسة من الشام والعراق، وكذا المسافات بين منازل هذه الطرق.

لهذا عمدت إلى كتب معاجم اللغة، ودواوين الشعراء في الجاهلية وصدر الإسلام والعصر الأموي عسى أن أجد ضالتي فيها.

وقد حصرت ما استطعت العثور عليه من النصوص الواردة حول أعلام الطرق. فتجمع لدي كم وفير من الأقوال الشعرية والنثرية التي تكلمت عن هذه الأعلام وبعض دلالاتها.

ومن الأسماء التي أطلقوها عليها:

الأعلام، والمنار، والأميال، والصُّوَى، والآرام.

وقد ضمنت هذا الكتاب بعض النصوص التي توفرت لي.

٢- بما أن علماء الآثار والرحالة الغربيين كان لهم قدم السبق في التجوال في الأماكن النائية من «جزيرة العرب» فدونوا مشاهداتهم؛ مما أنار الطريق أمام الباحثين في مجالات شتى؛ وخاصة تلك المشاهدات الغريبة التي استوقفتهم ووقفوا أمامها متسائلين عن وظائفها التي أنشئت من أجلها؛ لذا حرصت على قراءة ما توفر عندي مما دونوه عن هذه الرحلات، فحصرت ما قالوه عن هذه المشاهد الغريبة التي صادفتهم في كل ناحية يتجهون إليها.

كانت آراؤهم شبه متفقة. وهي القول بأن ما شاهدوه عبارة عن مقابر ومدافن من زمن عصور حجرية، أو زمن ما قبل التاريخ.

وعلى هذا المفهوم سار من جاء بعدهم، وأخذ رأيهم بالقبول. دون التقصي في

البحث الميداني وإبراز الدلائل المادية التي تفرق بين ما هو أعلام للطرق وبين ما هو مساكن ومدافن موغلة في القدم.

ومن الأمور المستغربة أن يفاجئنا - مؤخراً - علامة الجزيرة شيخنا «حمد الجاسر» ضمن رده عَلَيَّ في مجلة «الفيصل» ليقول عن أعلام الطرق التي تكلمت عنها:

إنها من رجوم البادية، وآثار منازلهم.

ولو اعتبرنا رأيه هذا صحيحاً لكان فيه رفع المشقة عن الرَّحالة، وعلماء الآثار، وعني أيضاً؛ ولكن قوله هذا أبعد الاحتمالات عن واقع تلك المشاهد الآثارية.

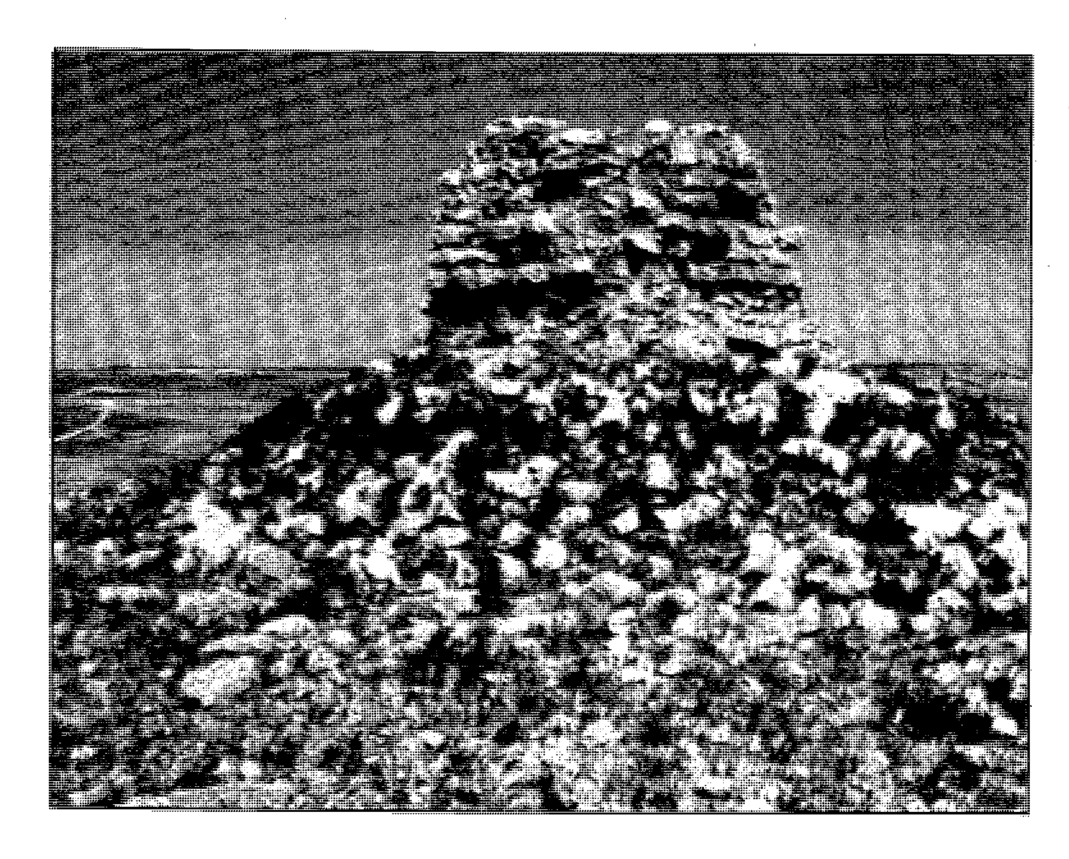
٣- بتتبعي للعديد من مسارات طرق القوافل القديمة على ضوء أعلامها المنصوبة في الفيافي والقفار؛ فقد قادتني إلى موارد المياه التي ذكرها علماء البلدان عند وصفهم لها، فتمكنت من تحقيق بعض الأماكن التاريخية والجغرافية.

وأثناء سيري مع هذه الطرق كانت تصادفني بعض الأماكن الأثرية القديمة التي تمكنت من التعرف على أنها مساكن قديمة وليست أعلاماً للطرق؛ فالفرق بين هذه وتلك واضح. وأعلام الطرق واضحة لا غبار عليها اللهم إلاّ غبار السنين الخوالي. وقد زودت البحث بعدد من صور أعلام الطرق على اختلاف أشكالها. آملاً أن أكون بهذا قد أسهمت ولو بشيء يسير في هذا المجال.. والله الموفق.



نماذج لأشكال الأعلام الواقعة على مسارات طرق الحج والتجارة التي تم مسحها.





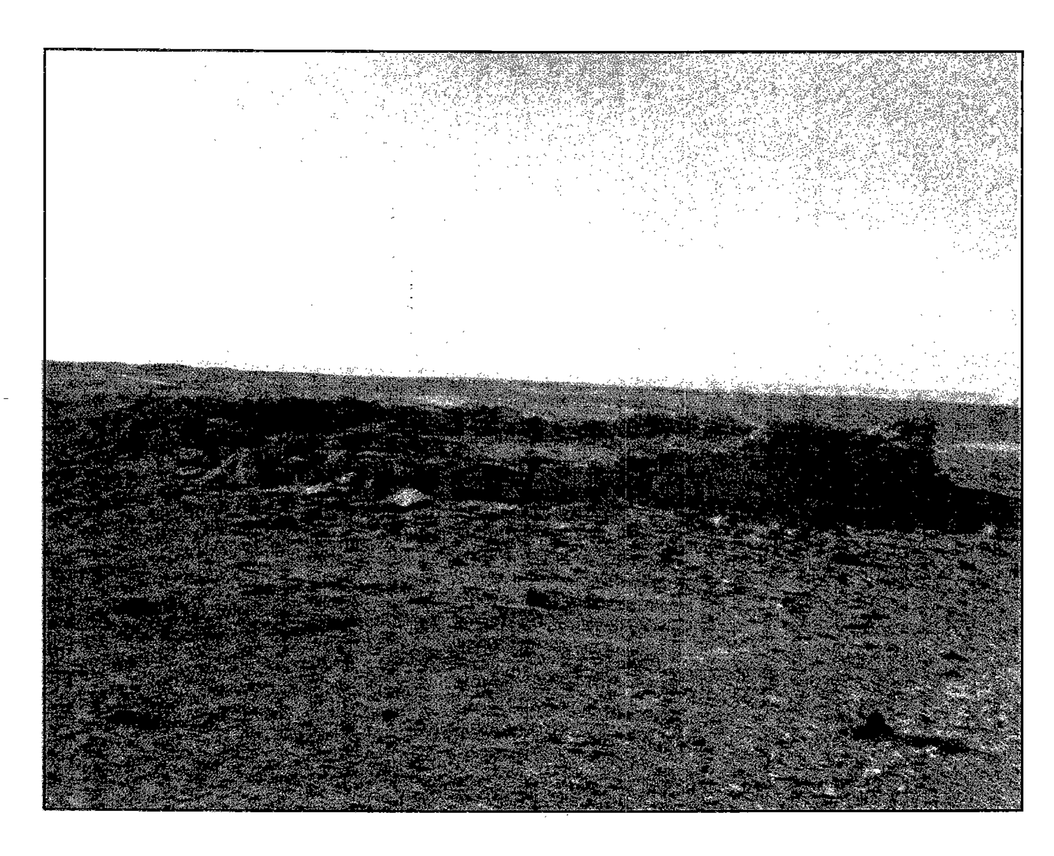
منظر رقم (١):

رجم الميل: هكذا يسميه الناس اليوم. يقع جنوب غرب جَوّ «وَبْرَة» غرب مدينة «قرية» وهو من أعلام طريق «المنكدر» أحد الطرق القديمة. كان يسلكه حاج «البصرة» إلى «مكة» ثم عدلوا عنه إلى الطريق الآخر الذي يمر بالقصيم؛ نظراً لقلة موارد المياه عليه.



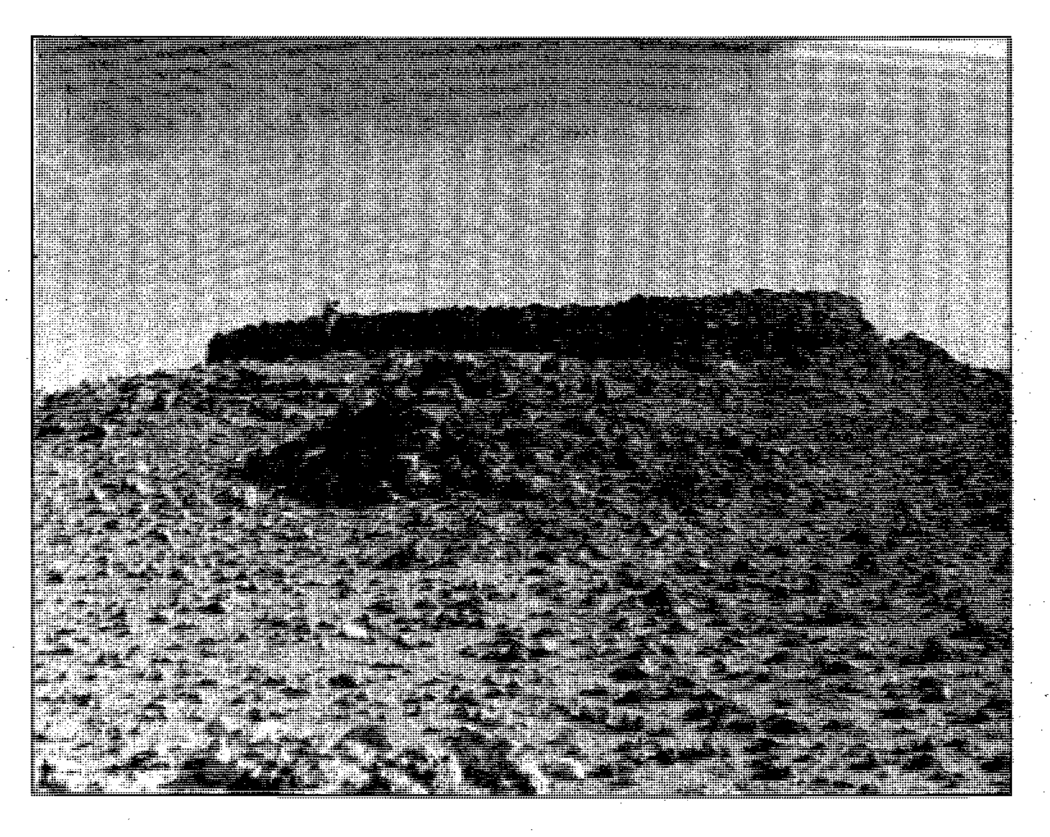
منظر رقم (٢):

علم بارز يقع على حافة جبل طويق من الجهة الغربية. كدلالة على أحد المنحدرات التي تنزل معها القوافل وهو شمال «نزلة القِدِّيَّة» التي ينزل معها الطريق السريع من الرياض إلى الحجاز.



منظر رقم (٣):

علم دائري الشكل يقع شرقاً من علم المنحدر السابق، غير بعيد منه. وعلى ظهر جبل طويق المستوي في هذه الناحية أكثر من دائرة مشابهة لهذه؛ مع التباعد بينها.



منظر رقم (٤):

علم يشكل دائرة كبيرة يبلغ ارتفاع جدار محيطها قدر قامة الرجل.

كتلك الدائرة التي رآها «ليبنز» في رحلته. انظر صفحة (٥١) من هذا الكتاب.

وهذه الدائرة واقعة على حافة من منحدرات «حزن بني يربوع» تطل على منخفض «المحوى».

تقع بين بلدتي «سامودة» جنوباً و«لينة» شمالاً.

وهي من أعلام طريق قديم يمر بتلك الناحية.

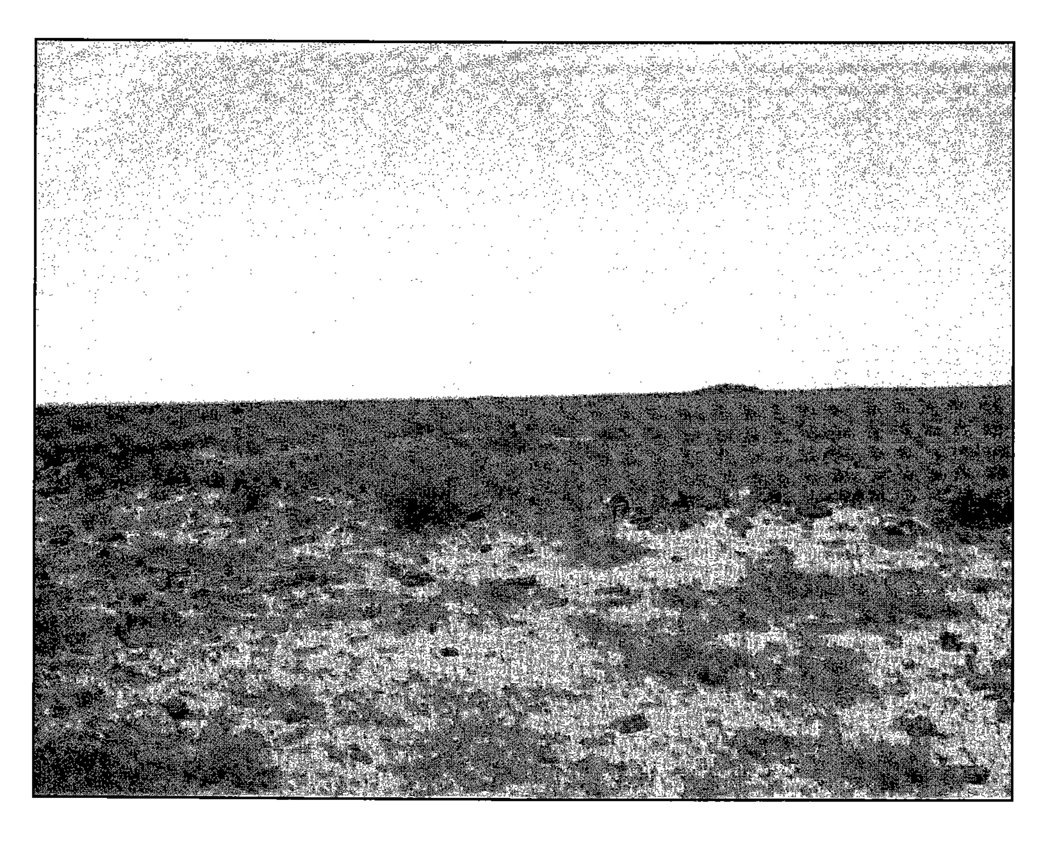


المنظر رقم (٥):

علم على شكل دائرة كبيرة يتراوح ارتفاع قطرها من ٦٠ إلى ٨٠ سنتيمتراً، وفي وسط الدائرة «صُوَّة» كبيرة، ويقابل الدائرة من جهة الغرب ذيل طويل يرى من بعد.

هذا العلم من أعلام الطريق التجاري من «حجر اليمامة» إلى البصرة.

يقع شمال شرق مدينة «الرياض» جنوب «الجنادرية» فوق صفراء «هَدَّامة» (طار قديماً).

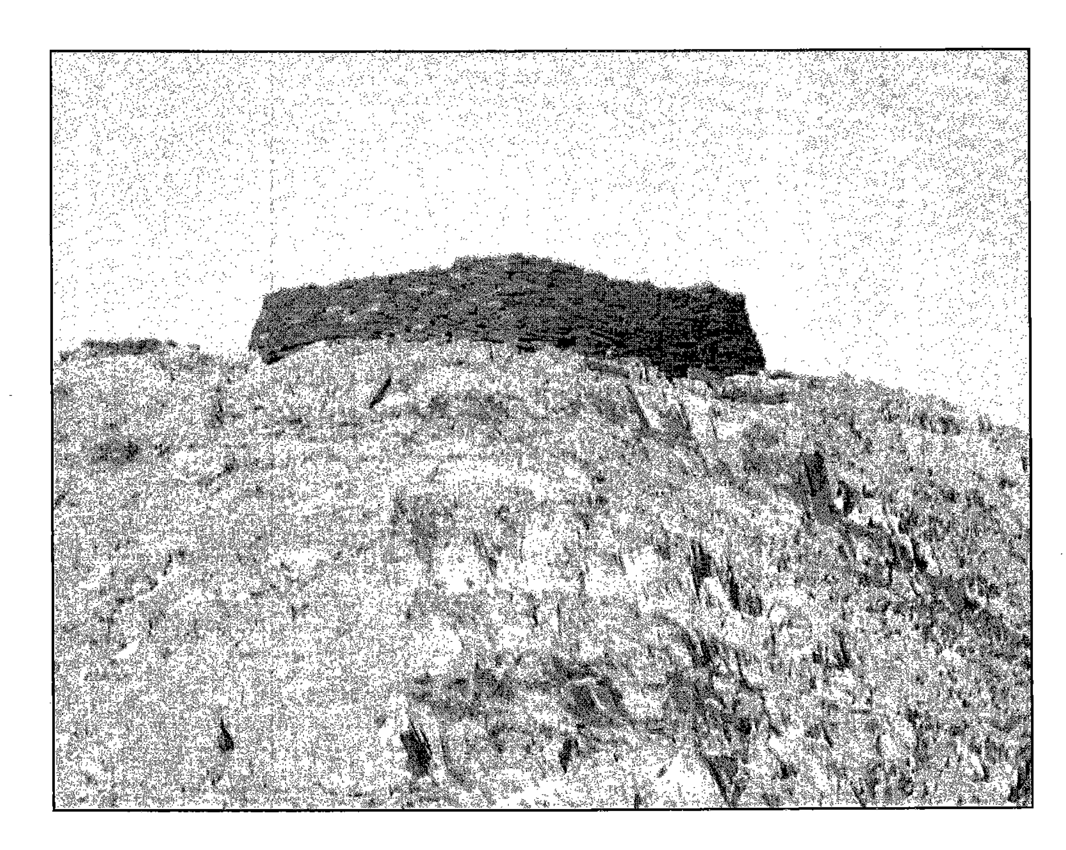


المنظر رقم (٦):

دائرة واسعة تقع في أرض «المروت» بين «نفود السِّر» ونفود «الغزيز» على الطريق الأيمن لحاج حجر اليمامة.

ينطلق من هذه الدائرة ذيل طويل باتجاه علم بارز ينطلق منه ذيل محكم.

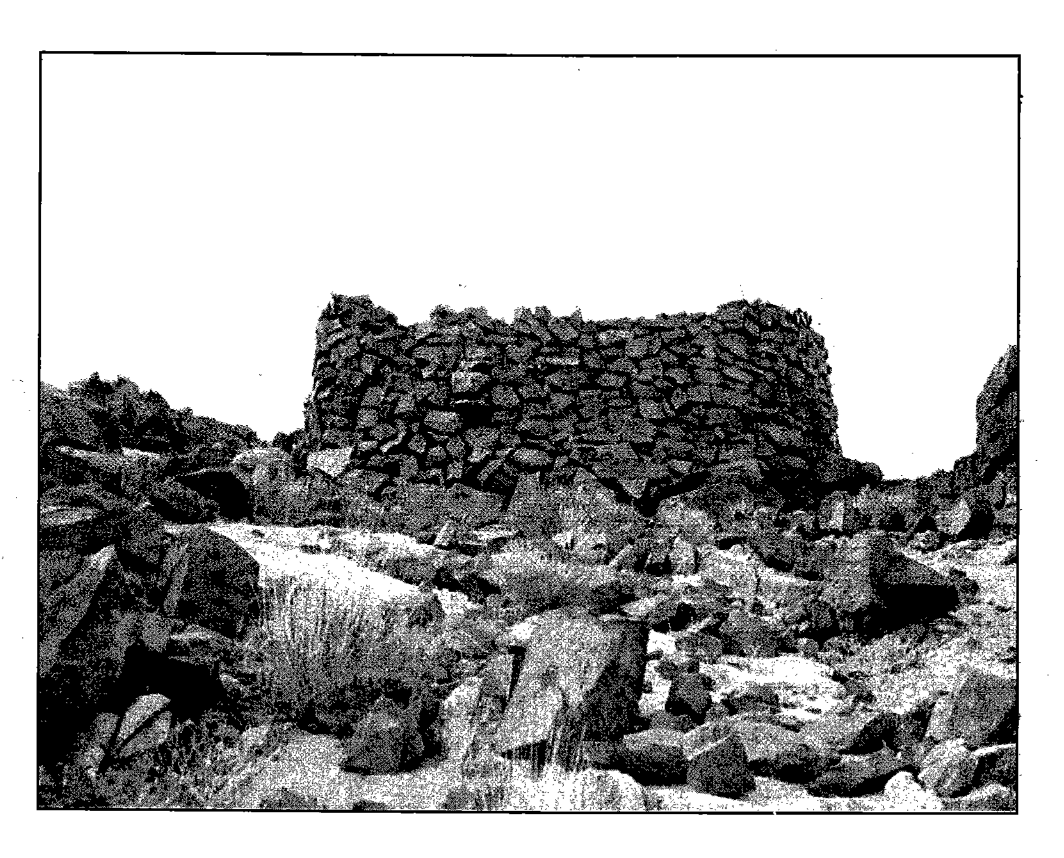
ومثل هذه الدائرة وما حولها جديرة بالدراسة، لمعرفة دلالات الأعلام.



المنظر رقم (٧):

علم من أعلام طريق «المنار» المتجه من «حجر اليمامة» إلى «مكة» يقع هذا العلم الدائري ذو الحجارة السوداء فوق قمة عالية من قمم الجبال الواقعة غرب وادي السّرداح، بين مدينتي «القويعية» و«الرويضة» بجوار الطريق السريع من جهة الجنوب.

هذا العلم الذي يشاهد من بعد جوفه مليء بالحجارة بخلاف الدوائر الأخرى. قطره سبعة أمتار بارتفاع متر ونصف.



المنظر رقم (٨):

علم دائري الشكل مصمت الوسط كسابقه، يقع في فجوة فوق قمة جبل يقع جنوب غرب «صَفَّاقَة» على طريق «مأسل» جنوب شرق مدينة الدوادمي. وهو من أعلام طريق «المنكدر».

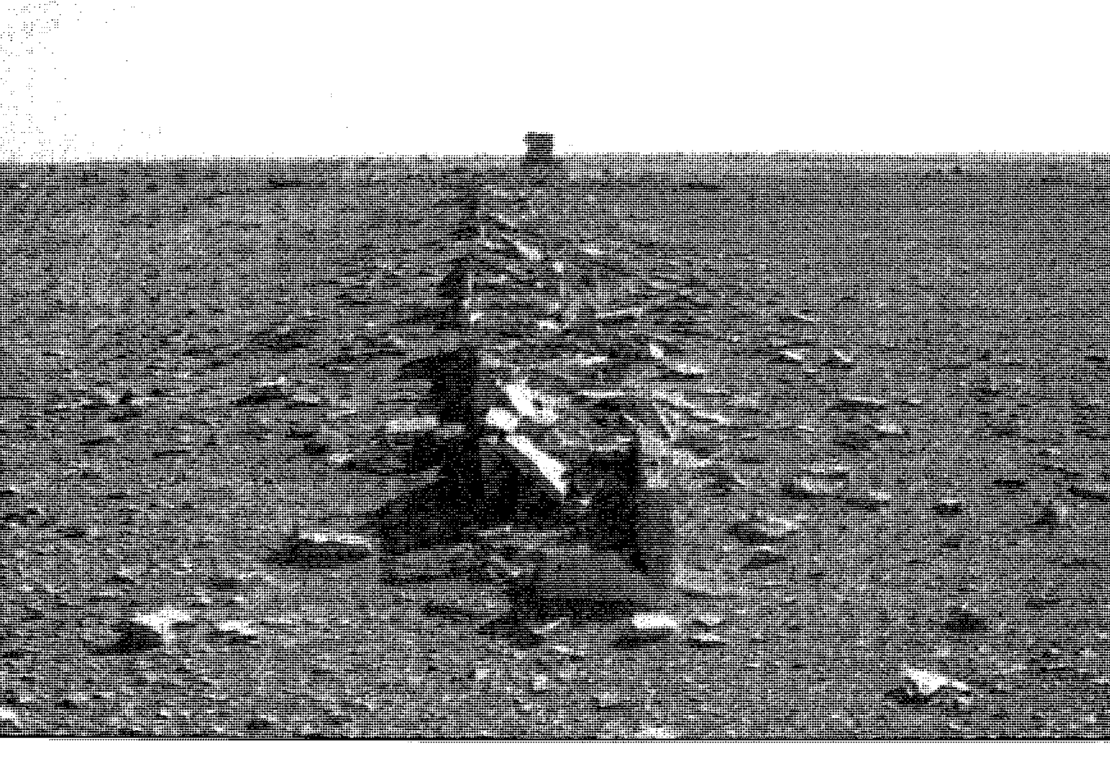


المنظر رقم (٩):

علم بارز من أعلام الطريق الأيمن لحاج حجر اليمامة.

يقع على مرتفع حجري شرقي نفود السر.

وبالقرب منه أعلام أخرى وإشارات.



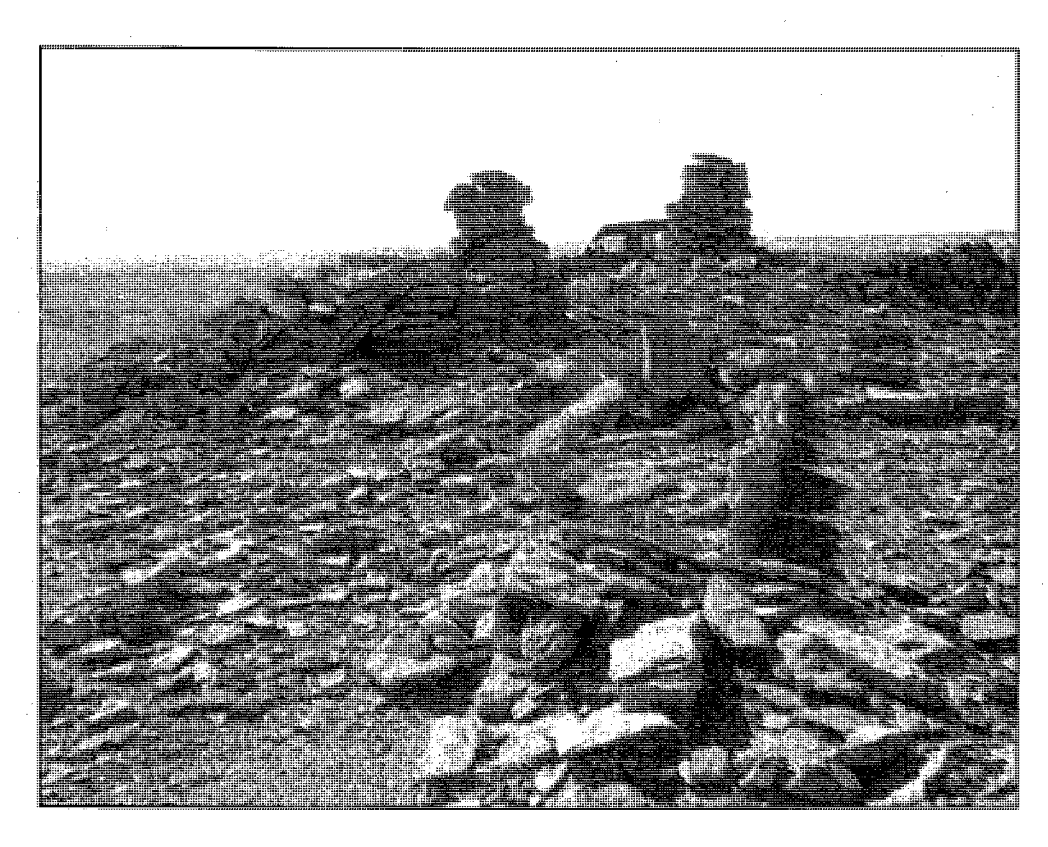
المنظر رقم (١٠):

علم بارز مرتبط به من الجهة الشمالية دائرة، وينطلق منهما ذيل محكم البنيان وإن كان اعتراه بعض التخريب. طول هذا الذيل خمسون متراً يمتد باتجاه الغرب.

وجنوباً من هذا العلم على بعد نصف كيل دائرة كبيرة.

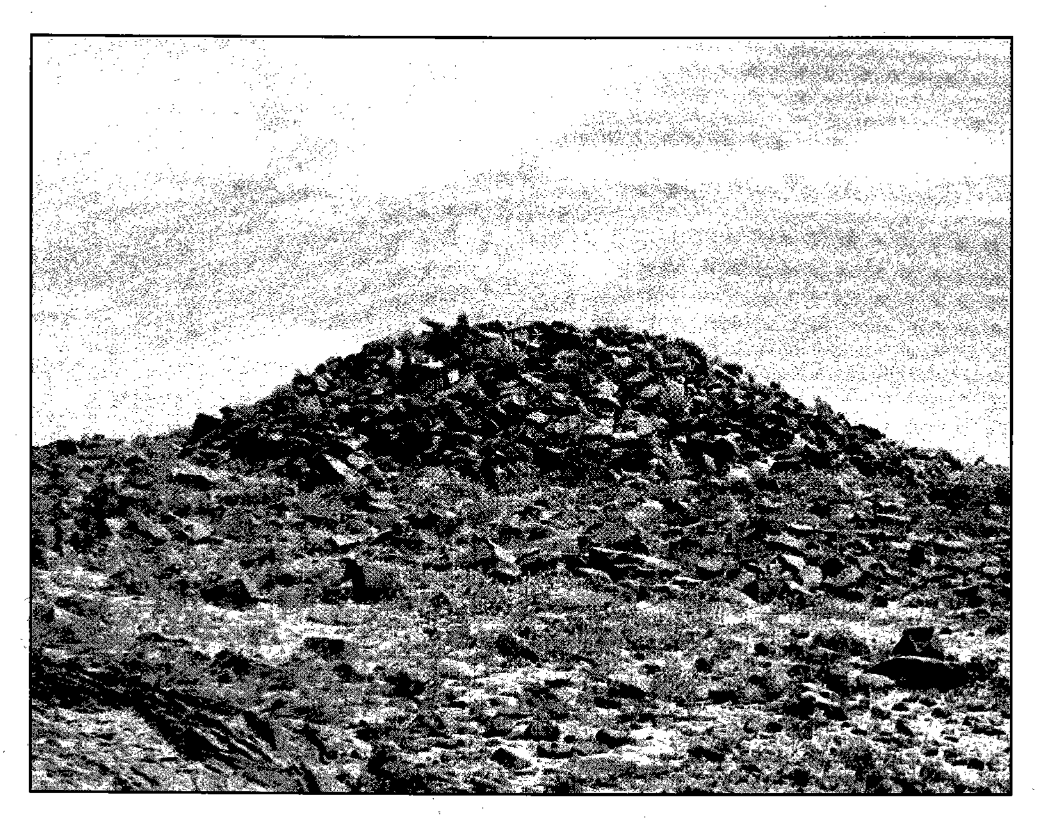
وهذا العلم وما حوله جدير بالدراسة لمعرفة دلالات الأعلام.

يقع على ظهر العَلاَة «جبل طويق» وهو من أعلام طريق حاج اليمامة.



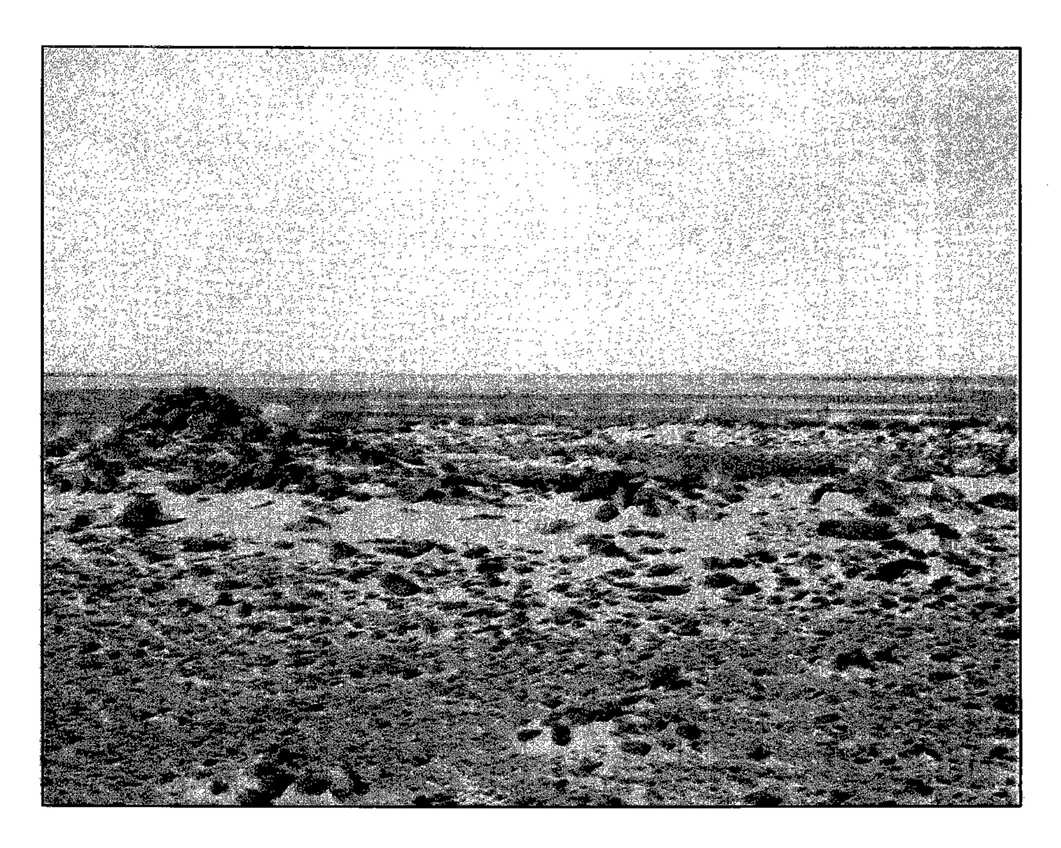
المنظر رقم (١١)

علمان بارزان يشاهدان من بعد غرب سابقهما على ظهر «العَلاَة» على مسار طريق حاج اليمامة قبل أن ينحدر من جبل «طويق» وينطلق منهما ذيل قصير، وحولهما إشارات.



المنظر رقم (١٢):

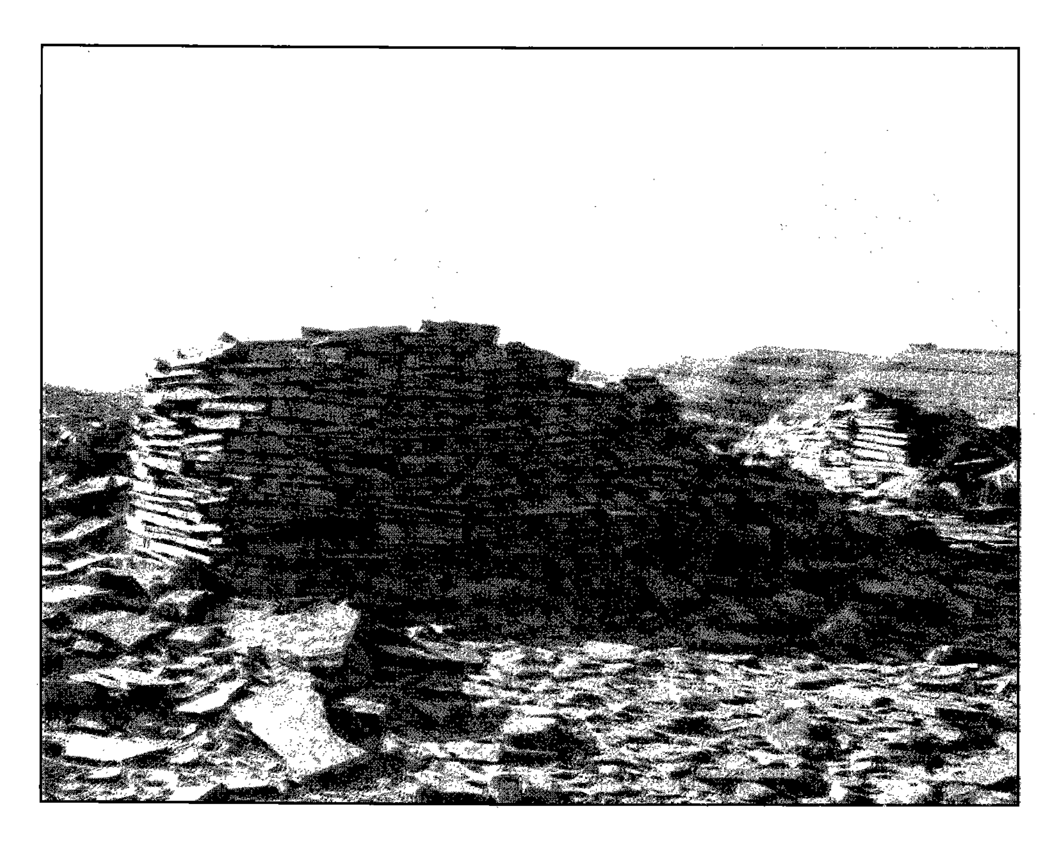
علم بارز على أكمة يشاهد من بعد يقع على مسار طريق حاج اليمامة.



منظر رقم (١٣):

علم دائري الشكل من أعلام طريق حاج اليمامة الأيسر وفي الجهة الغربية من محيط الدائرة صُوًى كبيرة.

يقع هذا العلم شرقي مورد ماء «اللَّمِيسَة» على بعد ثلاثة أكيال.



المنظر رقم (١٤):

أحد الأعلام العديدة على قمم جبل «ذات النِّطَاق» جنوب غرب جبل «ثهلان».

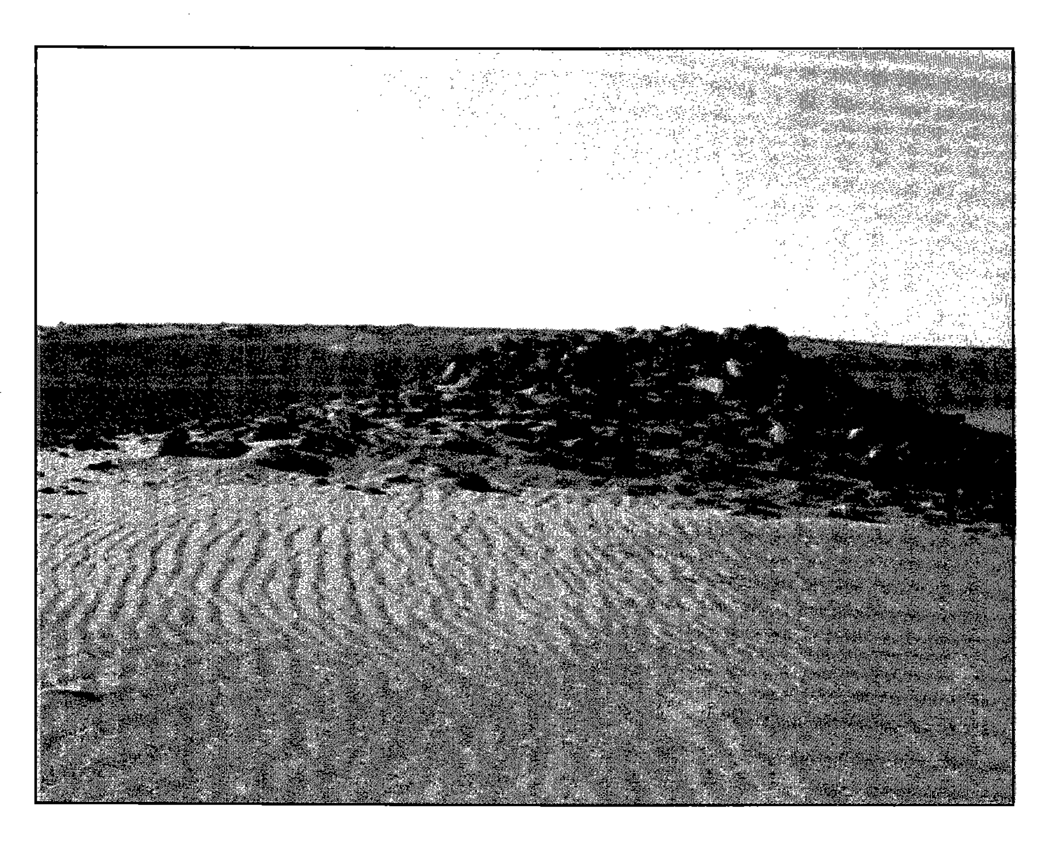
والملاحظ على ما وقفت عليه من هذه الأعلام الواقعة فوق هذه القمم أن الجهة المقابلة لجادة الطريق محكمة الرصف أما الجهة الأخرى فغير معتنى بها.



المنظر رقم (١٥):

علم فوق مرتفع جبلي يرى من بُعْد: من أعلام طريق اليمامة الأيمن، وكذا الطرق القادمة من نجد.

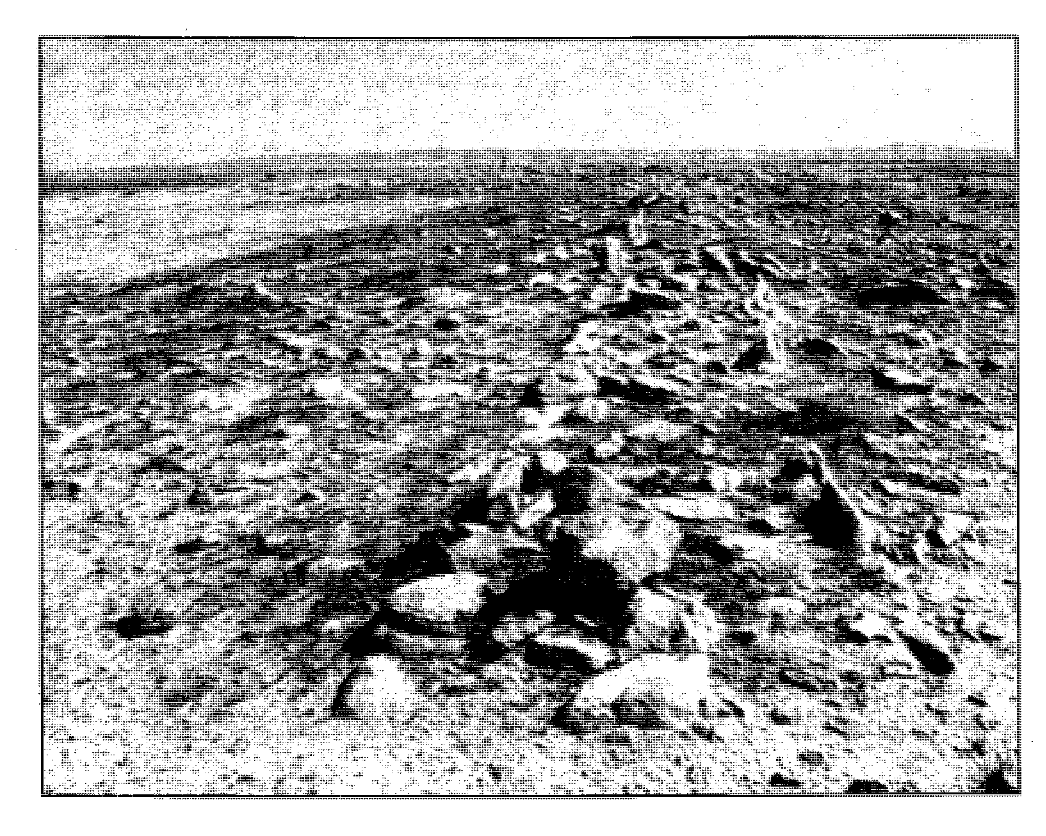
يقع جنوب حرة «كشب» شرقي مورد ماء «الخوارة».



المنظر رقم (١٦):

علم بارز فوق مرتفع من أعلام طريق حاج «اليمامة».

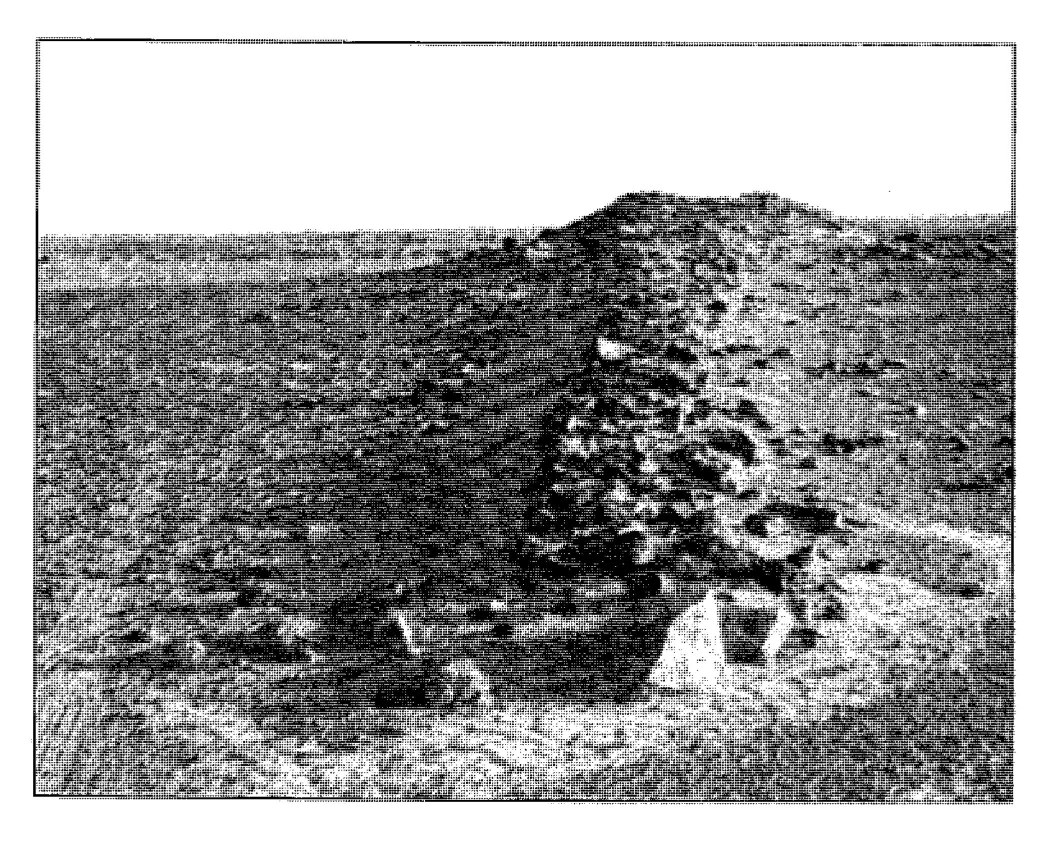
يقع غرب سياج «محازة الصيد» غرباً من الطريق المزفت المتجه إلى «الخرمة».



المنظر رقم (١٧):

علم من أعـلام طـريق «المنكدر» ينطلق منه ذيل طويل مـحكم البنيـان وحـوله بـعض الإشارات.

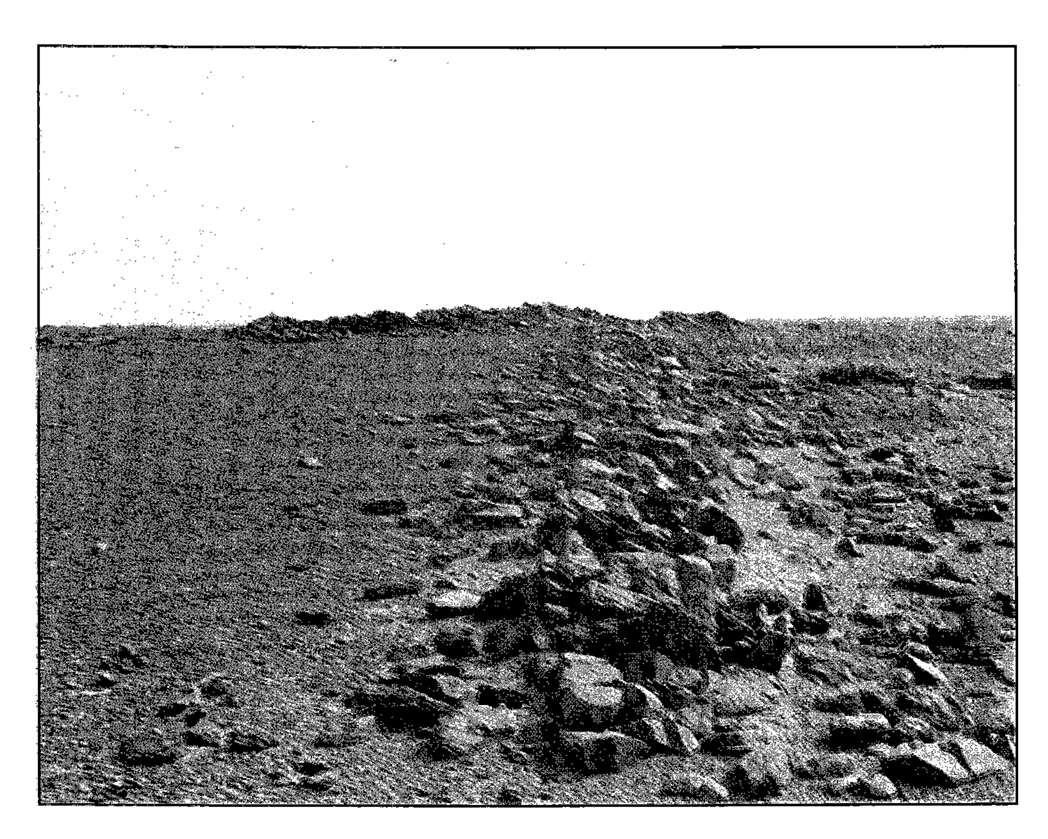
وهو من الأعلام الجديرة بالدراسة عند التعرف على دلالات الأعلام.



المنظر رقم (١٨):

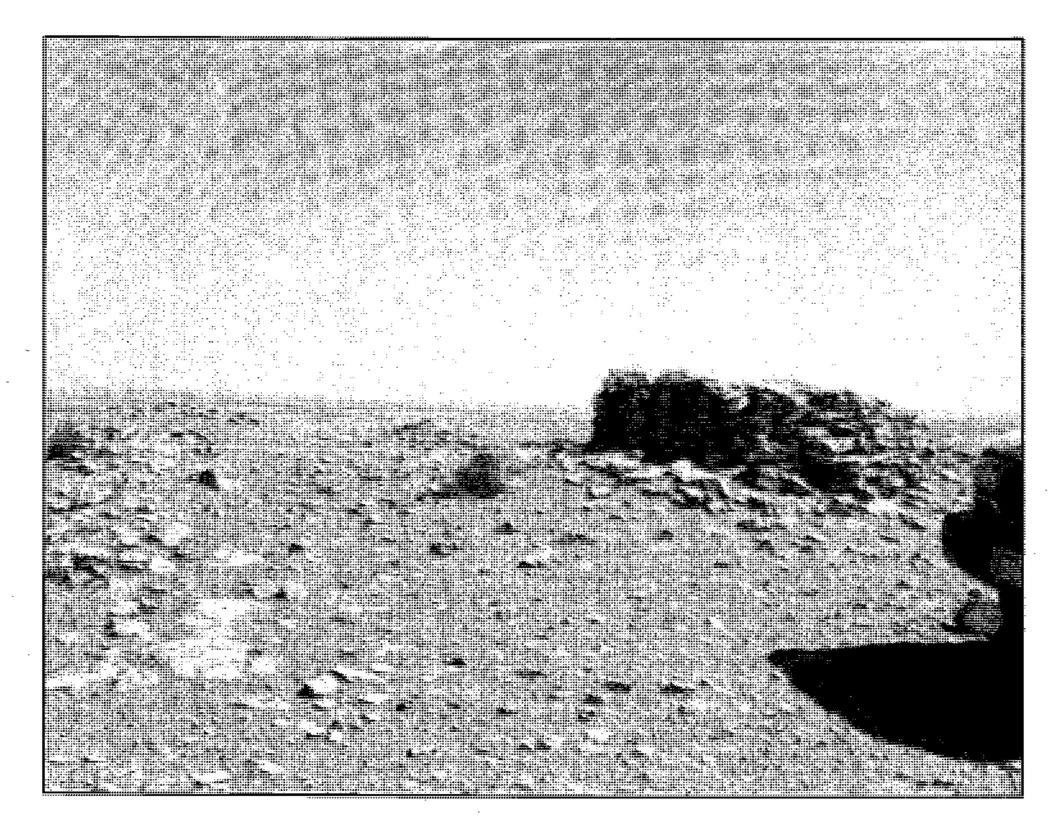
علم من أعلام طريق «المنكدر» ينطلق منه ذيل محكم طوله ٤٠ متراً.

يقع في شرقي ظهر «الحمَار» - جبل - شرق بلدة «ظلم» جنوب الطريق السريع على بعد خمسة أكيال.



المنظر رقم (١٩):

علم بارز من أعلام «المنكدر» ينطلق منه ذيل محكم البنيان باتجاه الجنوب الغربي، وفي الجهة المقابلة ينطلق ذيل آخر باتجاه الشمال الشرقي. وهذه الأعلام طرأ عليها بعض التخريب وحولها إشارات ورموز وتتكثف الأعلام حوله جنوب وادي «الخرمة».



المنظر رقم (٢٠):

علم بارز محكم البنيان على ظهر مرتفع شمال غرب طرف نفيِّد «بنبان» الشمالي وحوله إشارات ورموز.

وهو من أعلام الطريق التجاري من «اليمامة» إلى «الكوفة».



المنظر رقم (٢١):

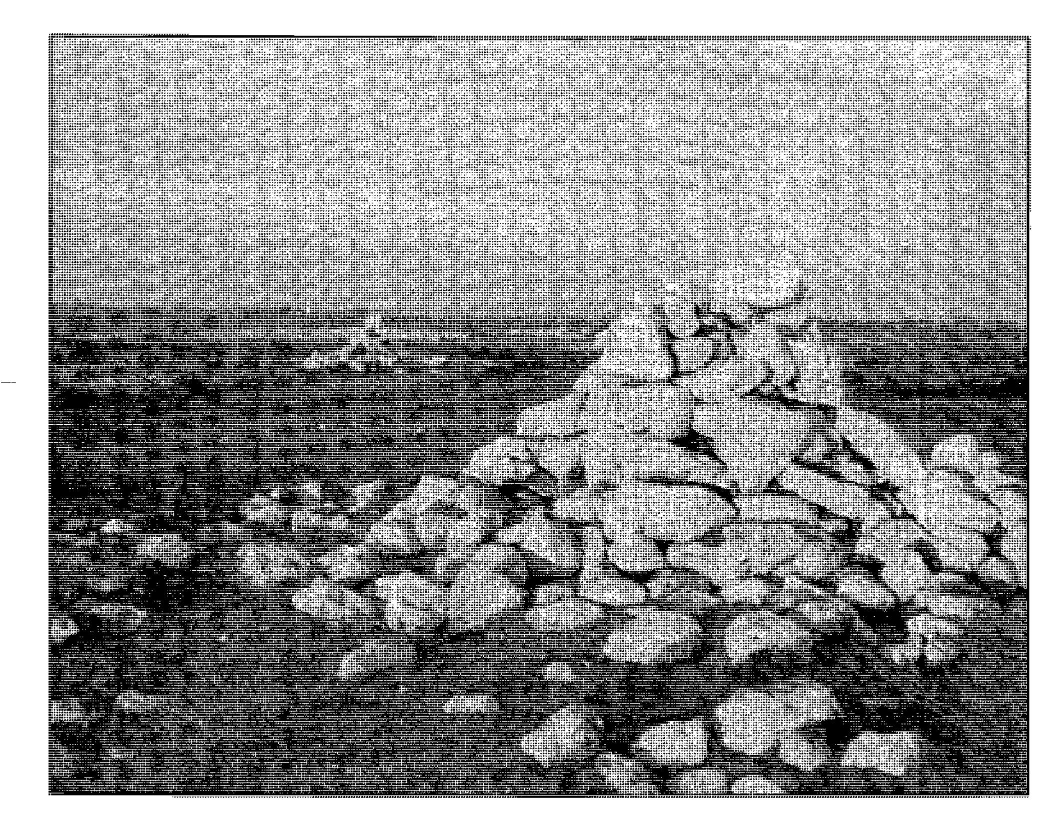
علم من أعلام الطريق التجاري المتجه من «حَجْر اليمامة» (الرياض حالياً) إلى «الكوفة». وينطلق من هذا العلم رابط محكم إلى علم آخر بجوار الشجرة الظاهرة في الصورة، ومن العلم الثاني الشرقي ينطلق ذيل طويل بزاوية شبه منفرجة باتجاه الجنوب الشرقي. يقع هذا العلم شرق «الدهناء» شمالاً من الطريق المتجه إلى «حفر الباطن».



المنظر رقم (٢٢):

علم بارز ذو ملحقات من أعلام الطريق التجاري من «حجر اليمامة» إلى «الكوفة».

يقع شرق رمال «الدهناء» بين «سامودة» و«لينة».



المنظر رقم (٢٣):

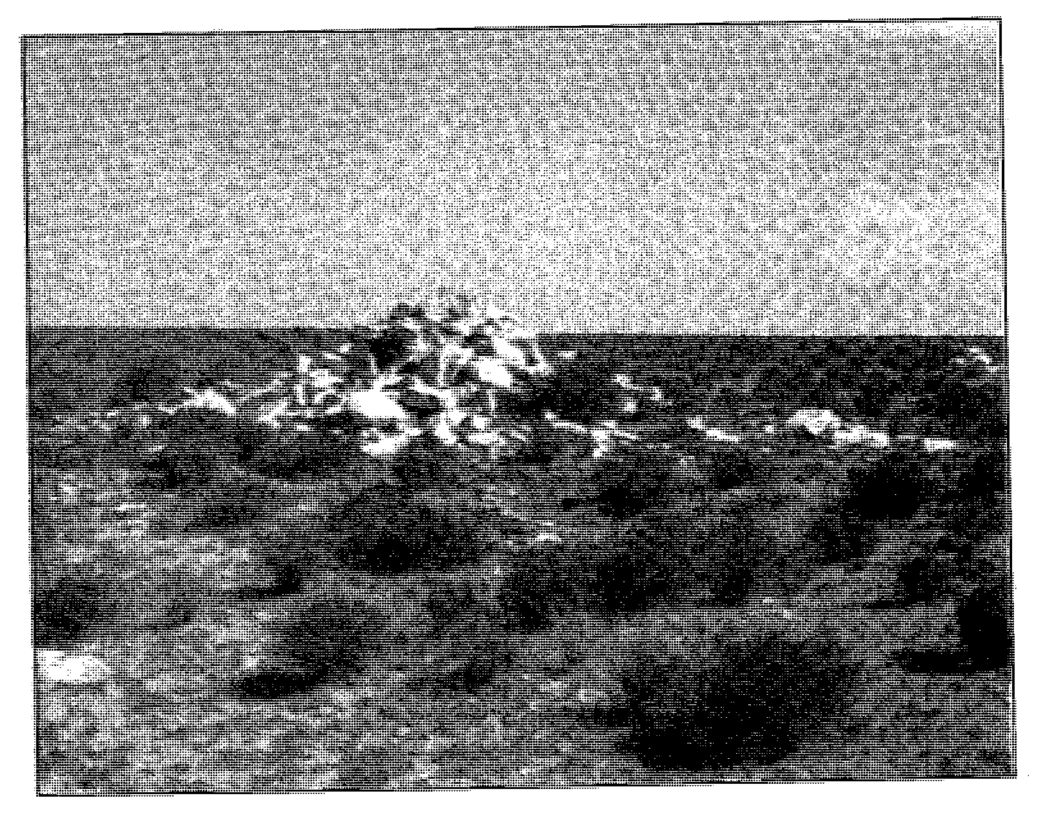
علمان متقابلان حولهما رموز وإشارات. يقعان شرقاً من رمال الدهناء جنوباً من بلدة «لينة».

وهما من أعلام الطريق التجاري بين «حَجْر اليمامة» و«الكوفة».



المنظر رقم (٢٤):

علم بارز حوله دوائر وإشارات يقع جنوباً من بلدة «لينة» على الطريق التجاري بين «حجر اليمامة» و«الكوفة».



المنظر رقم (٢٥):

علم بارز يشاهد من بعد، واقع في وسط رمال الدهناء في إحدى الصَّرَائم التي تكثر فيها الحجارة البيضاء. شمال شرق مدينة «رماح» وبلدة «المزيرع».

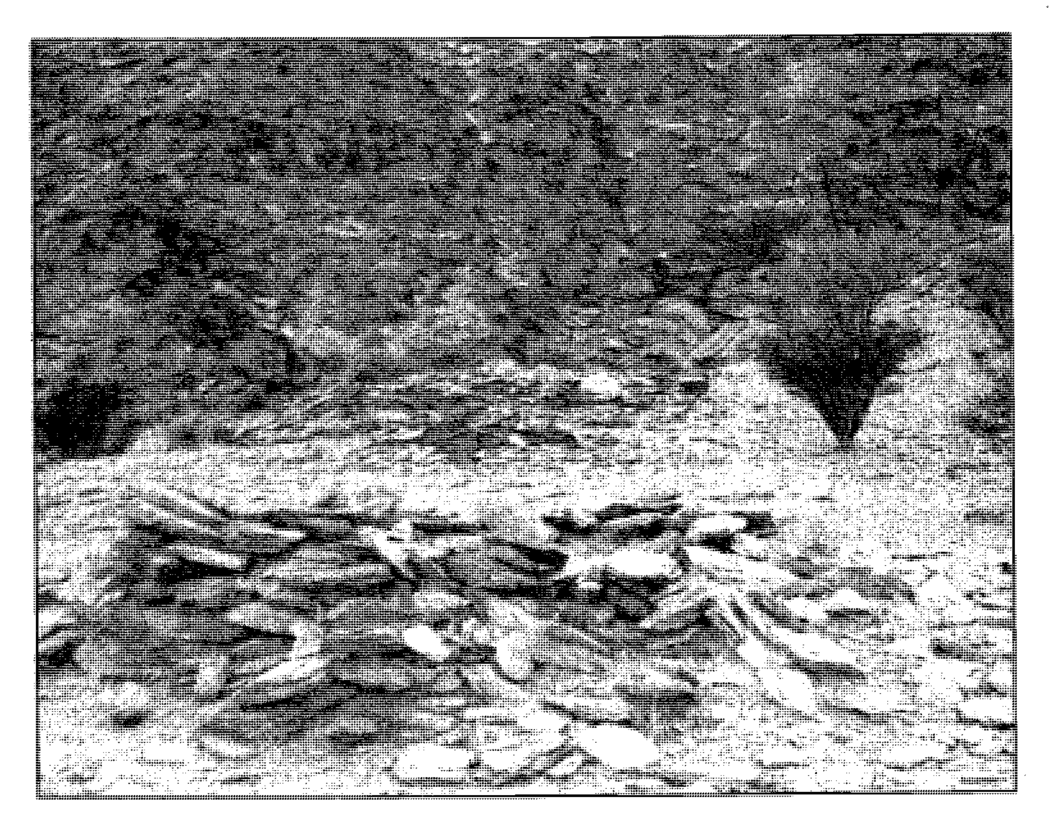
وهو أحد أعلام الطريق التجاري بين «حجر اليمامة» و«البصرة» الذي تتكثف أعلامه في صرائم الدهناء.



المنظر رقم (٢٦):

علم يشاهد من بعد لوقوعه على مرتفع من الأرض. ينطلق منه ذيل محكم البنيان يتجه غرباً بطول مائة وخمسين متراً إلى علم آخر أصغر منه.

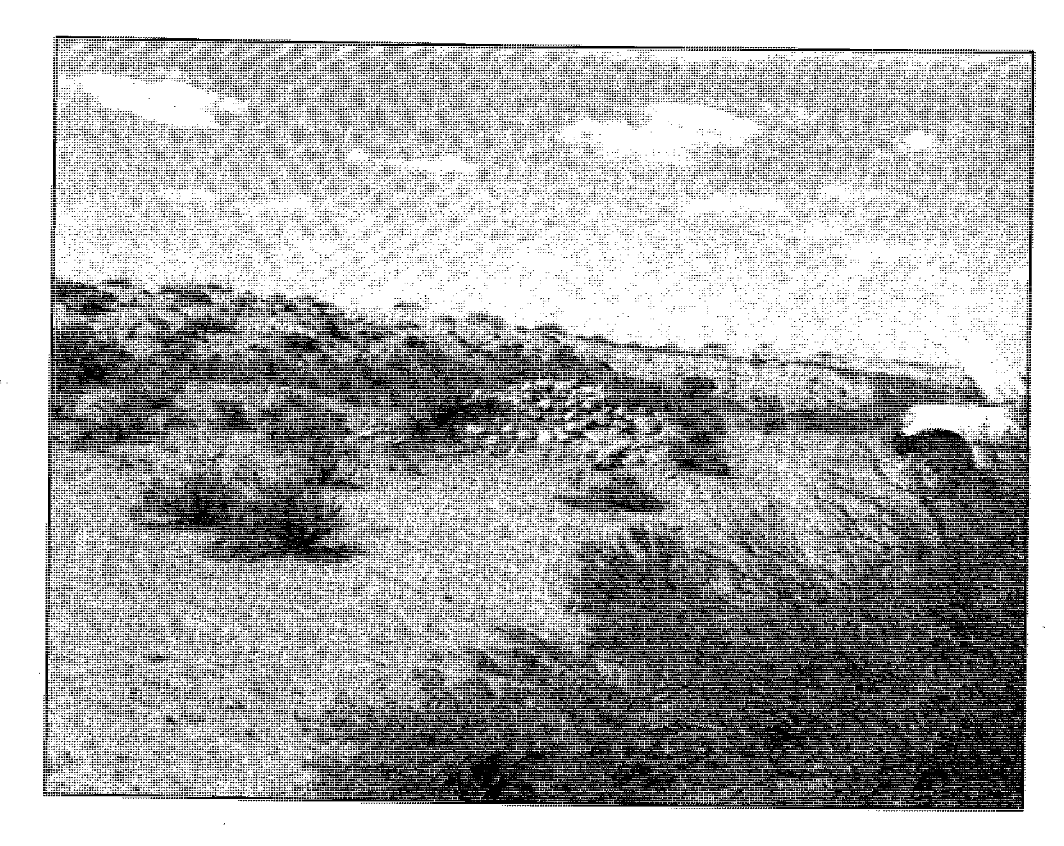
يقع شمال شرق «حُزْوى» و«شَوْيَة» في أرض «الصّمان».



المنظر رقم (٢٧):

هذه «الصُّوَى» في مدخل إحدى تلاع جبل «ثهلان» المشهور. ترى من جادة الطريق المحاذي لسفح ثهلان الشرقي.

وهي دلالة على وجود ماء في «قلتة» كبيرة تملؤها مياه الأمطار، والتلاع التي توجد فيها مجمعات مياه كالقلات والأوشال على الطريق توجد في مداخلها علامات كهذه، وتتكاثر في هذا الجبل خاصة؛ ولذا سماه بعضهم «جبل الأوشال».



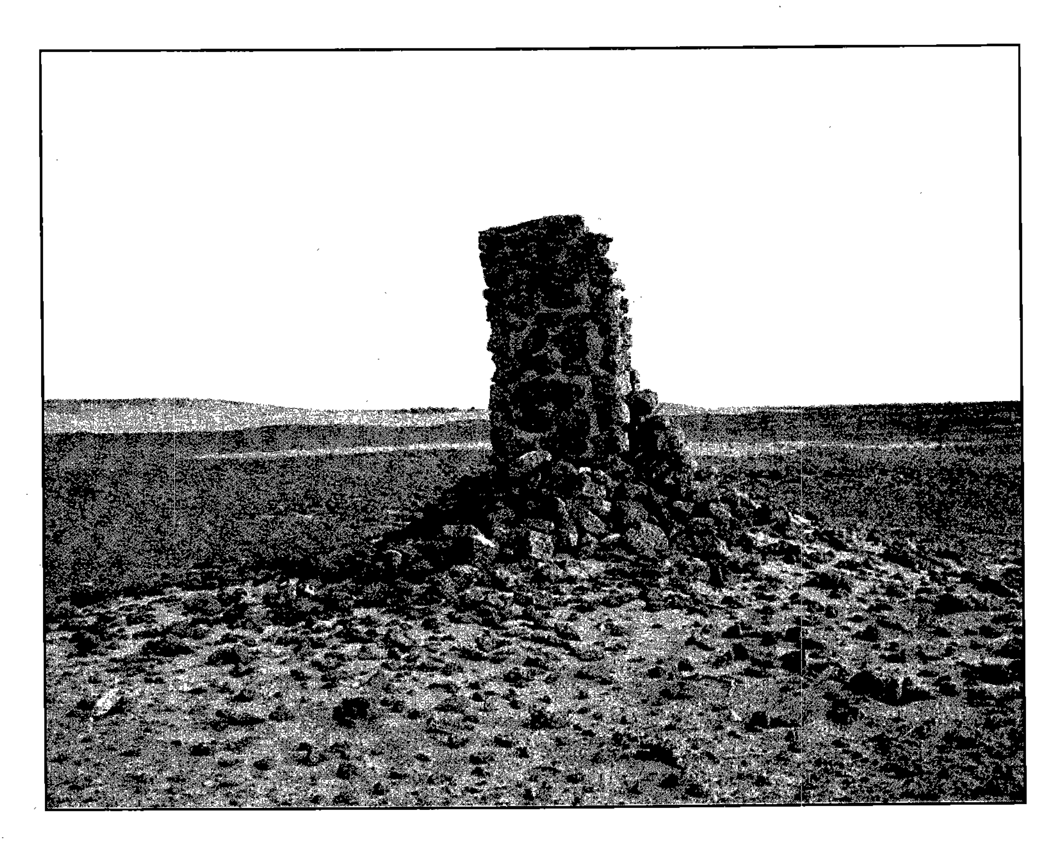
المنظر رقم (٢٨):

هذا العلم في وسط رمال «الدهناء» على طريق «الحج البصري».

ويقع في المنتصف بين «المجازة» (الثمامي حالياً) وبين منزل «الينسوعة» في نهاية الدهناء من غرب.

وقد شاهد الرحالة «ليبنز» مع الفريق الذي كان معه شبيهاً له في رمال «الربع الخالي» وحسبوه «جثوة» أي قبراً.

انظر صفحة (٤٧) من هذا الكتاب.

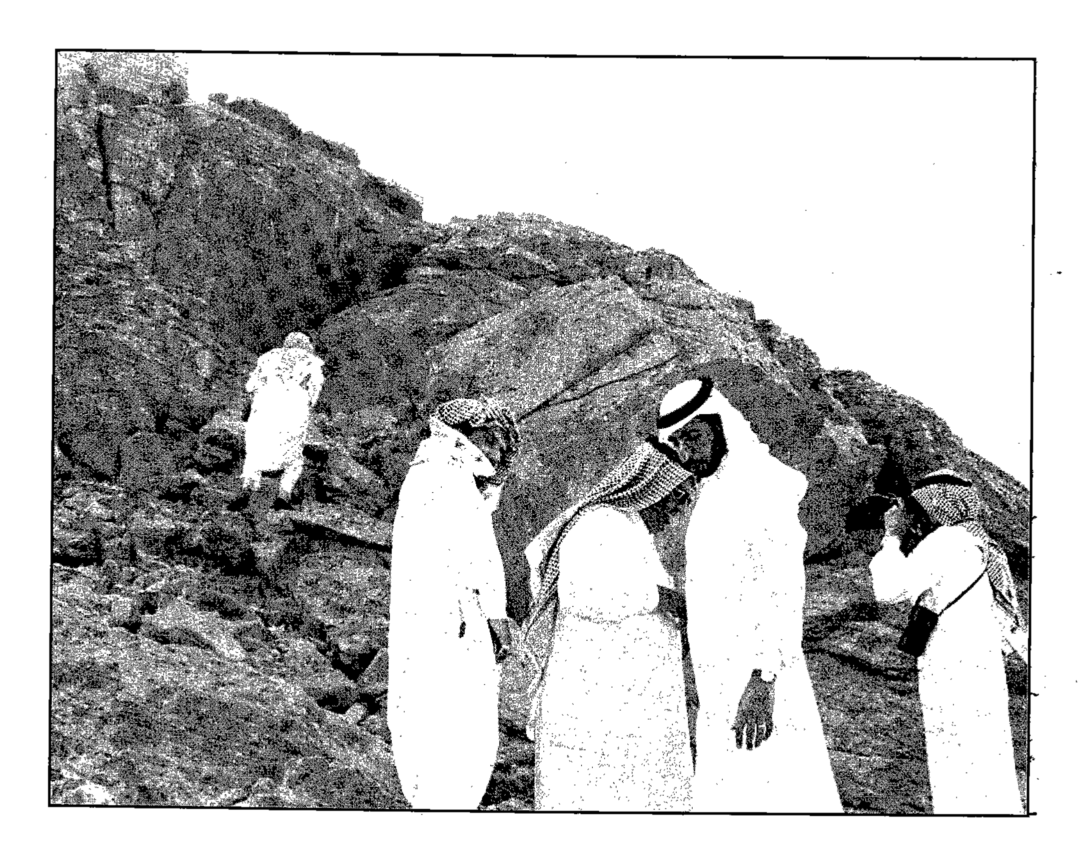


المنظر رقم (٢٩):

علم من أعلام طريق «الحج البصري» يقع وسط حرة «كشب» بجوار قرية «الحفيرة» - بَلَد قديماً - التي كانت منزلاً من منازل هذا الطريق.

ويرى الأستاذ عبد العزيز الشايع يتطلع إليه على بعد بضعة أمتار؛ نظراً لخطورة الاقتراب منه؛ لكونه آيلاً للسقوط.

وهو العلم الوحيد الذي رأيته مبنياً وذلك أثناء تحقيقي لهذا الطريق.



المنظر رقم (٣٠):

فريق من علماء الآثار بجامعة الملك سعود برئاسة الأستاذ الدكتور/ عبدالرحمن الأنصاري. يتسلقون هضبة «خشم مصيقرة» شرقي نفود السرِّ. وذلك لفحص وتصوير كتابات ونقوش قديمة على صفحات صخور الهضبة. وهم الدكتور. الأنصاري، والدكتور. سالم طيران، والدكتور. حسين أبو الحسن، والأستاذان: محمد بن سلطان العتيبي، وناصر العنزي. يا تُرى!!

هل تكون رحلتهم العلمية القادمة مخصصة للتعرف على دلالات أعلام الطرق؟!

أتمنى ذلك.

الفهارس

الصفحة

محتويات الكتاب

المصادر والمراجع

١- الاشتقاق: محمد بن الحسن بن دريد. دار الجيل ـ بيروت. الطبعة الأولى سنة ١٤١١هـ ١٩٩١م.

٢- أطلال: حولية الآثار العربية السعودية. تصدر عن وكالة الآثار والمتاحف.

٣- الأعلام: خير الدين الزركلي. دار العلم للملايين- بيروت. الطبعة العاشرة سنة ١٩٩٢م.

٤- اكتشاف جزيرة العرب: جاكلين بيرين. منشورات الفاخرية- الرياض، ودار الكاتب العربي- بيروت.

٥- بلاد العرب: الحسن بن عبد الله الأصفهاني. تحقيق حمد الجاسر وصالح العلي.

٦- الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري: آدم متز. دار الكتاب العربي- بيروت. الطبعة الرابعة سنة ١٣٨٧هـ ١٩٦٧م.

٧- حضرموت: عبد الله بن أحمد الناخبي. دار الأندلس الخضراء للنشر والتوزيع- جدة.

٨- خزانة الأدب: عبد القادر بن عمر البغدادي. تحقيق عبد السلام هارون. مكتبة الخاني القاهرة.

٩- ديوان الأعشى: الناشر دار الكتاب العربي- بيروت. الطبعة الأولى سنة ١٤١٢ه- ١٩٩٢م.

١٠- ديوان جران العود النميري: رواية أبي سعيد السكري. مطبعة دار الكتب المصرية- القاهرة الطبعة الثانية.

١١- ديوان ذي الرُّمة: تحقيق عبد القدوس أبو صالح. مؤسسة الرسالة- بيروت. الطبعة الثالثة- سنة ١٤١٤هـ ١٩٨٠م.

١٢- ديوان الراعي النميري: المعهد الألماني للأبحاث الشرقية- بيروت، ١٤٠١هـ ١٩٨٠م.

١٣- ديوان رؤبة بن العجاج: ذخائر التراث العربي، دار الآفاق الجديدة- بيروت. الطبعة الثانية سنة ١٤٠٠هـ ١٩٨٠م.

١٤- ديوان الشماخ بن ضرار: شرح قدري مايو. دار الكتاب العربي. الطبعة الأولى ١٤١٤هـ ١٩٩٤م.
١٥- ديوان الطرماح: تحقيق عزة حسن. مديرية إحياء التراث القديم- دمشق ١٣٨٨هـ ١٩٦٨م.
١٦- ديوان الفرزدق: دار الكتب العلمية- بيروت. الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م.
١٧- ديوان المرقشين: دار صادر- بيروت. الطبعة الأولى ١٩٩٨م.
١٨- رحلة استكشافية في وسط الجزيرة العربية: فيليب ليبنز. دارة الملك عبد العزيز- الرياض. صدر بمناسبة مرور مائة عام على تأسيس المملكة. طبع سنة ١٤١٩هـ ١٩٩٩م.
١٩- رحلة داخل الجزيرة العربية: يوليوس أويتنج. دارة الملك عبدالعزيز سنة ١٤١٩هـ ١٩٩٩م.
٢٠- رحلة إلى عُمان: ويندل فيلبس. وزارة التراث القومي والثقافة. طبع سنة ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م.
٢١- عبر الجزيرة العربية على ظهر جمل: باركلي رونكيير. مكتبة العبيكان. الطبعة الأولى سنة ١٤١٩هـ ١٩٩٩م.
٢٢- فتح القدير: تفسير محمد بن علي الشوكاني. دار المعرفة- بيروت. الطبعة الثالثة سنة ١٤١٧هـ ١٩٩٧م.
٢٣- الكشاف: تفسير جار الله محمود بن عمر الزمخشري. دار الفكر. الطبعة الأولى سنة ١٣٩٧هـ ١٩٧٧م.
٢٤- لسان العرب: ابن منظور. أعاد بناءه على الحرف الأول يوسف خياط. نشر دار الجيل ودار لسان العرب- بيروت. سنة ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م.
٢٥- ما اتفق لفظه واختلف معناه: ابراهيم بن أبي محمد يحيى اليزيدي. تحقيق عبد الرحمن العثيمين. الطبعة الأولى سنة ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م.
٢٦- معجم البلدان: ياقوت الحموي. دار بيروت للطباعة والنشر. طبع سنة ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م.

فهرس الأماكن

- ح -

- خ -

- ش -

- ص -

- ض -

- ط -

- ظ -

- ع -

- غ -

- ف -

- ق -

- هـ -

- ي -

فهرس الصُّور والمناظر

الصفحة